١٢

شرح لمعة الاعتقاد

الهادي إلى سبيل الرشاد

تصنيف الإمام

موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي

المتوفى سنة (٦٢٠) رحمه الله تعالى

شرح فضيلة الشيخ الدكتور

د. محمد محمدي بن محمد جميل النورستاني

حفظه الله

الشيخ لم يراجع التفريغ

النسخة الأولى

شرح

لمعة الاعتقاد

الهادي إلى سبيل الرشاد

١٢

شرح
لمعة الاعتقاد
الهادي إلى سبيل الرشاد

تصنيف الإمام
موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي
المتوفى سنة (٦٢٠) رحمه الله تعالى

شرح فضيلة الشيخ الدكتور
د. محمد محمدي بن محمد جميل النورستاني
حفظه الله

الشيخ لم يراجع التفريغ

النسخة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المشرفين علىٰ التفريغ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } [سورة آل عمران: ١٠٢]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } [سورة النساء: ١]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠)} [سورة الأحزاب: ٧٠]

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد صلي الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

إن من نعم الله تعالىٰ علىٰ أمة محمد صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم أن جعل فيها علماء ربانيين وأئمة في الدين، ورثوا من علم النبوة علىٰ قدرة ما قسم الله لهم من ذلك الميراث العظيم الذي لا يعادله شيء من متاع الدنيا الفاني.

ومن رحمة الله بعباده: أنه كلما اشتدت حاجتهم إلىٰ أمر من الأمور كلما يسر الله سبل تحصيله، ونوع لهم الطرائق الموصلة إلىٰ نيلة وبلوغه، ولما كان العلم أعظم ما يحتاجه العباد وليس لهم عنه غني طرفة عين، ولا سيما علم العقيدة والتوحيد الذي هو أشرف العلوم وأزكاها، وأجلها قدرًا وأسناها، والذي قد زادت الحاجة إليه في هذه الأزمنة

المتأخرة، بسبب انتشار الأهواء والبدع، وكثرة المخالفين للتوحيد والمعتقد، والمجانبين للسنة والأثر.

ولما كان الأمر كذلك رأينا منة الله علينا في هذه الأعصر بوسائل كثيرة لحفظ العلم ونشره لم تكن متيسرة لمن قبلنا، وإن من تلك الوسائل حفظ الدروس في تسجيلات صوتية ومقاطع مرئية، تنقل العلم لفظًا ومعنىٰ.

وكان من تمام نعمة الله علينا أن هيأ وسائل حديثة لحفظ هذا العلم، وهو ما يعرف بـ "التفريغات" والتي تنقل علم الشيوع من مسموع إلىٰ مقروء، فتعين الطالب علىٰ توفير وقته وجهده، وتدعوه لجمع قلبه وعقله علىٰ حفظ العلم وضبطه، وتساعد علىٰ انتشار عبر وسائل التواصل والتقنيات الحديثة مما يهيئ السبل للانتفاع به، وتداوله بيسر وسهولة من قبل الدارسين والمتعلمين، بل والأساتذة والمدرسين في أحيان كثيرة.

ومن هنا جاءت فكرة المساهمة في تفريغ دروس فضيلة الشيخ الدكتور محمد محمدي بن محمد جميل النورستاني حفظه الله تعالىٰ.

وقد يسر الله تعالىٰ الخطوة الأولىٰ لهذه المرحلة وهي إنشاء قناة للشيخ علي الشبكة، وكذا إنشاء حساب لدروسه في اليوتيوب، والتليجرام، كل ذلك حرصًا علىٰ الحفاظ علىٰ ما تيسر الحصول عليه من مجالس ودروس فضيلة الشيخ حفظه الله تعالىٰ، وكان الذي فات منها وضاع إن لم يفق الموجود كثرة فلا يقل عنه عددًا، وعزاؤنا فيه أن الله يعلمه، وأن الملائكة كتبته، ونسأل الله عز وجل أن يتقبل ذلك من الشيخ وأن يجعله في موازين حسناته، ومن تلك الكتب التي لم نقف علىٰ تسجيلاتها:

- خلق أفعال العباد للبخاري.
- الرد علىٰ الجهمية للدرامي.
- نقض عثمان بن سعيد علىٰ المريسي الجهمي العنيد، للدرامي.
- القاعدة المراكشية.

وغيرها كثير[1].

وجاءت المرحلة الثانية هذه، وهي سلسلة التفريغات الصوتية للدروس العلمية للشيخ محمد محمدي النورستاني حفظه الله تعالىٰ، وستكون شاملة لجميع دروسه المسجلة، وهي علىٰ الترتيب التالي:

١- الأصول الثلاثة (الشرح الأول ٨مجالس).
٢- الأصول الثلاثة (الشرح الثاني ٤٤ مجلسًا).
٣- الأصول الثلاثة (الشرح الثالث ١٧ مجلسًا).
٤- القواعد الأربع (الشرح الأول مجلس واحدًا).
٥- القواعد الأربع (الشرح الثاني – مجلسان).
٦- القواعد الأربع (الشرح الثالث مجلسان).
٧- نواقض الإسلام.
٨- كشف الشبهات.
٩- كتاب التوحيد. (ولا زال مستمرًا).

---

(١) ونجد هذا الموضع فرصة لحث الإخوة من طلاب الشيخ ممن قد تبلغهم هذه التفريغات، ممن حضروا الشيخ مجالس في السابق وسجلوا شيئًا منها أن يتواصلوا معنا، فحفظهم لعلم الشيخ أقل للشيخ علينا وعليهم، وهو من يرى التلاميذ بمعلميهم والذي لا يقل أهمية عن بر الأبناء بآبائهم متىٰ اقترن بالنية الصالحة.

١٠- العقيدة الواسطية (الشرح الصغير).

١١- العقيدة الواسطية (الشرح الكبير).

١٢- لمحة الاعتقاد

١٣- العقيدة الطحاوية.

١٤- عقيدة الرازيين.

١٥- القصيدة الحائية لابن أبي داود.

١٦- القواعد المثلىٰ في صفات الله وأسمائه الحسنىٰ.

١٧- الفتوىٰ الحموية.

١٨- الجواب علىٰ الاعتراضات المصرية.

١٩- العقيدة التدمرية. (الشرح الصغير)

٢٠- العقيدة التدمرية. (الشرح الكبير، ولا زال مستمرًا).

٢١- نقض المنطق "الانتصار لأهل الأثر، لابن تيمية.

٢٢- الإبانة الصغرىٰ "الشرح والإبانة علىٰ أصول أهل السنة والديانة" لابن بطة.

٢٣- مختصر الصواعق المرسلة علىٰ الجهمية والمعطلة، لابن القيم. (ولا زال مستمرًا).

٢٤- شرح ابن أبي العز الحنفي علىٰ الطحاوية. (ولا زال مستمرًا).

٢٥- شرح القصيدة النونية "الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية" لابن القيم الجوزية. (ولا زال مستمرًا).

٢٦- شرح العقيدة الأصفهانية، لابن تيمية. (ولا زال مستمرًا).

٢٧- رسالة القضاء والقدر لابن عثيمين.

٢٨- قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات، لابن تيمية.

٢٩- الأفعال الاختيارية من العباد لابن تيمية.

٣٠- فصل في الكلام علىٰ الاتحادية، لابن تيمية.

٣١- مسألة في حياة الخضر وادعاء لقائه، لابن تيمية.

٣٢- فصل في معنىٰ الحي القيوم، لابن تيمية.

٣٣- الأخنائية، لابن تيمية. (ولا زال مستمرًا).

٣٤- محاضرات في العقيدة والتوحيد.

٣٥- مجالس تفسير سورة العنكبوت.

٣٦- مجالس تفسير سورة الأحزاب.

٣٧- مجالس تفسير سورة الزمر.

٣٨- المنظومة البيقونية.

٣٩- نزهة النظر.

٤٠- المداخل إلىٰ كتب السنة. (ولا زال مستمرًا).

وذنبه هنا إلىٰ أن هذه التفريغات معينة ومساعدة إلا أنها لا تغني عن الدروس الصوتية والمرئية، ولا تكفي عن الاستماع إليها.

وما هذه التفريغات إلا جهد من بعض طلاب الشيخ حفظه الله تعالىٰ، رغبوا في المشاركة في الخير، والمساهمة في خدمة العلم وأهله، فكتب الله أجورهم وشكر سعيهم، والشيخ حفظه الله تعالىٰ لم يراجع هذه التفريغات.

وفي الختام: فإننا ندعو الله عز وجل أن يبارك للشيخ في علمه وعمله، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين، وأن يبارك له في إتمام ما بقىٰ ونسأل الله له المزيد من فضله وأن يمتعنا بعلمه، وأن يطيل عمره علىٰ طاعته، وأن يتقبل ذلك منه، وأن يكون ذاخرًا له ورفعه وشرفًا يوم لقاء مولاه، ورؤيته سبحانه وحلول رضاه.

وشكر الله للإخوة القائمين علىٰ هذا المشروع وكتب أجرهم، وجعله من العلم الذي ينتفع به، وتجري لهم به الحسنات، وتضاعف بسببه الدرجات.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.

للتواصل وإرسال الملحوظات والتصويبات.

t.Shoroh.dr.alnorstany@tmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَىٰ عَبْدِهِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

قال الإمام: أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ في كتابه **لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد:**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله المحمود بكل لسان، المعبود في كل زمان، الذي لا يخلو من علمه مكان، ولا يشغله شأن عن شأن، جل عن الأشباه والأنداد، وتنزه عن الصاحبة والأولاد، ونفذ حكمه في جميع العباد.

ترجمة ابن قدامة المقدسي

التعليق:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، نحمده، ونصلي علىٰ رسوله الكريم؛ أَمَّا بَعْدُ: -

هذه الرسالة التي ندرسها ونتدارسها بإذن الله من الرسائل المهمة التي أُلفت في عقيدة أهل السنة والجماعة، ألَّفها أحد أئمة السنة، وأحد الأئمة المجتهدين في وقته، وهو الإمام الموفق موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي.

ولد رَحِمَهُ اللهُ سنة ٥٤١هـ في قرية جمَّاعيل، هذه من قرىٰ نابلس في فلسطين، ومع اكتمال العشرين من عمره ذهب إلىٰ بغداد مع ابن خاله عبد الغني المقدسي، يعني سنة ٥٦١هـ ذهب إلىٰ بغداد، ومكث هو وابن خاله عند عبد القادر الجيلي الذي كان من أئمة الحنابلة في ذلك الوقت، والذي يُعبد من دون الله، يعني كثير من المتصوفة يؤلهونه، وينسجون حوله الأساطير مما هو بريء منها، وبعد أقل من شهرين توفي عبد القادر الجيلاني رَحِمَهُ اللهُ.

ثم انتقلا إلىٰ ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ، فكانا يدرسان عليه، ويمكثان عنده، ثم انتقلا إلىٰ مكان آخر، ومكثا في بغداد أربع سنوات، ثم رجعا إلىٰ دمشق، طبعًا هاجر إلىٰ دمشق وعمره عشر سنوات؛ بسبب الحملات الصليبية، ولما هاجرت هذه الأسرة إلىٰ دمشق كانت لهم جهود هناك لنشر العلم ولإحياء السنن، من ذلك أنهم أنشأوا مدرسة هناك، مدرسة عظيمة، وهذه المدرسة درس فيها كثير من الطلاب، وكانت متميزة، كانت في الصالحية، هذه مدينة جديدة أنشأوها هم علىٰ أطراف دمشق.

وابن قدامة رَحِمَهُ اللهُ لم يُعرف بتخصصه في العقيدة، مع أن كتبه في العقيدة كثيرة؛ منها: لمعة الاعتقاد، ومنها: ذم التأويل، ومنها: أربع رسائل ألَّفها حول القرآن الكريم، ولخص ما فيها في هذا الكتاب: لمعة الاعتقاد، ولذلك هذه الرسالة

تتميز بأمور؛ منها: ذكر الأدلة الكثيرة والاستدلال بها، ومنها ما يتعلق بالقرآن، يعني من النادر أن تجد هذا التفصيل الذي هنا في كتب أخرىٰ.

منهج ابن قدامة في الرسالة

وفي الغالب منهجه أنه يذكر الأدلة، وقد يكتفي بها، وقد ذكر أحد من شرح هذه الرسالة وهو الشيخ ابن جبرين رَحِمَهُ اللهُ، طبعًا شرحه من أحسن الشروح، فالكتاب له شروح؛ منها: شرحه، ومنها: شرح الشيخ الفوزان، ومن أحسن الشروح -وقد يكون أحسنها- شرح الشيخ ابن جبرين رَحِمَهُ اللهُ، طبعًا له شرحان: شرح مختصر، عبارة عن تعليقات، وشرح آخر مبسط اسمه الإرشاد، ذكر فيه أن ابن قدامة رَحِمَهُ اللهُ في كثير من المواضع ذكر الأدلة ولم يوضحها، ولم يستنبط منها ما يريد أن يقوله، لم يصرح بها لأن البيئة في ذلك الوقت لم تكن كما هو الحال بعد انتشار دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ.

وذكر أمثلة قبل ابن قدامة وبعد ابن قدامة، وهذه الأمثلة تدل علىٰ أن مذهب أهل السنة في ذلك الوقت كان غريبًا، ومن الأمثلة: يقول أبو يعلىٰ رَحِمَهُ اللهُ الذي كان قاضيًا في بغداد، وكانت له مكانة كبيرة جدًّا، ولأجله انتشر المذهب الحنبلي، يقول: ألف كتابًا في العلو، فاتُّهم بأنه مشبِّه، وبأنه شبَّه الله عَزَّ وَجَلَّ بخلقه هنا في كتابه، وكاد أن يُعزل عن القضاء.

يقول: وبرأ نفسه بأن قال: أنا لم أفعل إلا أن أوردت مقولة عن غيري، فإن كان هناك رد فهذه الردود تتوجه إلىٰ من نقلت عنه وليس إلىٰ من جمعها. وكاد أن يُعزل عن القضاء، هكذا كانت غلبتهم.

وممن انتشر مذهب أهل السنة بسببهم، وانتشر الخير بسببهم ولو كان محدودًا: آل قدامة المقدسيون، الذين جاءوا إلىٰ دمشق، وأنشأوا هناك مدرسة كما قلت، وبانتسابهم إلىٰ المذهب الحنبلي نشروا عقيدة السلف بكتبهم، وبتدريسهم، إلىٰ غير ذلك، طبعًا من نتاج مدرستهم أيضًا: شيخ الإسلام ابن تيمية، شيخ الإسلام ابن تيمية هو أحد من تخرج في هذه المدرسة، وكان من حسنات هذه المدرسة، مدرسة المقادسة، مدرسة آل قدامة، والإمام الموفق وأسرته كانوا مع صلاح الدين الأيوبي رَحِمَهُ اللهُ سنة ٥٨٣ في جهاده ضد الصليبيين، ورافقوه في فتح بيت المقدس، وكانت لهم خيمة مستقلة.

* هذا الكتاب الذي ندرسه اشتمل علىٰ أكثر مباحث علم العقيدة، أركان الإيمان وما يتعلق بالقرآن، فيه تفصيل أيضًا جيد عن القدر، وأكثر ما يميزه ذكره للأدلة، قد تكون هناك مسائل سنجد أن أنظار بعض العلماء تختلف فيها، قد يكون هناك له ما يبرره، بعض الألفاظ التي يشم منها رائحة التفويض، قد يكون السبب في ذلك ما أشار إليه الشيخ ابن جبرين أن ابن قدامة ما أراد، مع أنه سمىٰ كتابه لمعة الاعتقاد، واللمعة: المكان الذي فيه اللمعان والنور والضياء.

لمعة الاعتقاد أي أن هذا الكتاب يشتمل علىٰ عقيدة واضحة، مدلل عليها من الكتاب والسنة يقول: مع ذلك في بعض المواضع لم يستطع أن يوضح ويصرح ما يريد أن يقوله واكتفىٰ بذكر الأدلة، وهذه المواضع التي عليها مؤاخذات من بعض العلماء هي معدودة جدًّا، والكتاب في مجمله يمثل مذهب وعقيدة أهل السنة والجماعة.

يقول: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ) بدأ بالبسملة كما هو صنيع المؤلفين عمومًا، وكما هو السنة في هذا الباب، والباء هنا في بسم الله من حروف الجر، وهي مع المجرور، المجرور هو (اسم) مضاف إلىٰ لفظ الجلالة، والمضاف مع المضاف إليه مجرور، والجار والمجرور يحتاجان إلىٰ متعلق، والمتعلق يكون مناسبًا لما تبدأه، فنحن هنا لما نبدأ هذا الكتاب نقول: بسم الله نقرأ، ونستعين باسمه في قراءة هذا الكتاب، والله: هذا الاسم علم علىٰ الذات المقدسة، وهو مشتق من ألـه يألـه ألوهة، فهو مألوه، وألـه يألـه أي: عبد يعبد، بمعنىٰ العبادة، والمألوه هو المعبود.

(**الرحمن الرحيم**) كلاهما اسمان كريمان من أسماء الله عَزَّ وَجَلَّ، يدلان علىٰ أن الله عَزَّ وَجَلَّ متصف بالرحمة، واتصاف الله عَزَّ وَجَلَّ بالرحمة هي رحمة تليق بكماله وجلاله، وليست مما يكون فيها تأثر، ومما يكون فيها ما يكون من المخلوقين، فهذه الرحمة تليق بالله عَزَّ وَجَلَّ.

فالله عَزَّ وَجَلَّ وصف اسمه، طبعًا الله علم، واسم من أسماء الله عَزَّ وَجَلَّ، وهذا الاسم وصف بأسماء أخرى وهي الرحمن الرحيم، وهذان الاسمان يناسبان البداية في كل وقت؛ لأنك لما تبدأ أي عمل فيه طاعة، وتريد أن تستعين بالله عَزَّ وَجَلَّ، فمن المناسب أن تذكر الأسماء التي تليق بالاستعانة، ومن أنسبها كونه رحمنًا، وكونه رحيما.

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، **الحَمْدُ للهِ المحمود بكل لسان**).

(**الحَمْدُ للهِ**): (أل) هنا للاستغراق، والحمد لغة: هو الثناء على الإنسان، كما هو المدح، المدح هو الحمد، لغةً: الثناء على الإنسان، والفرق بينهما أنك إذا أثنيت على الإنسان بصفات يتخلّق بها؛ مثل: السخاء والجود والعلم والحلم، إذا أثنيت عليه بصفات تخلّق بها هذا يسمى حمدًا.

أما إذا أثنيت عليه بصفات جُبل عليها؛ كالطول والجمال والقصر. والخِلقة؛ فهذا يكون مدحًا، إذا أثنيت عليه بصفات جُبل عليها يكون مدحًا، وإذا أثنيت عليه بصفات تخلّق بها، صفات كمال؛ فهذا يكون حمدًا، والحمد في الاصطلاح عرِّف بتعريفات عديدة، أحسنها -أو قد يكون أحسنها-: ذكر محاسن المحمود، مع حبه وتعظيمه وإجلاله.

والذي يستقرئ مواضع الحمد في كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ يرى أن الله عَزَّ وَجَلَّ كلما حمد نفسه يذكر بعض الصفات التي يُحمد عليها، فمثلًا هنا في بداية سورة الفاتحة:

﴿الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ ۝٢﴾، (**الحَمْدُ للهِ**) ربوبيته للعالمين، أنه يربهم، وأنه يدبر أمرهم، هذا مما يُمدح عليه، وهكذا كلما يحمد نفسه يذكر بعض صفاته التي بها يستحق الحمد، والله عَزَّ وَجَلَّ يستحق الحمد لصفاته ولجلاله ولكماله ولإنعامه، لأنه هو الذي خلق الخلق، وهو الذي ينعم عليهم في خلقهم وفي بقائهم، وليست هناك نعمة إلا من عند الله عَزَّ وَجَلَّ، أيضًا يستحق الحمد على صفاته وكماله، صفات الجلال والكمال.

(**المحمود بكل لسان**) الله عَزَّ وَجَلَّ محمود بكل لسان، واللسان هنا عام، سواء كان لسان الحال أو لسان المقال، طبعًا إذا كان لسان المقال؛ هذا يتحقق فيه الحمد، وإلا إذا كان لسان الكافر والمنافق وغيره؛ فلسانه أيضًا يحمد الله عَزَّ وَجَلَّ بلسان الحال، ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء:٤٤]، فكل ما في السماوات والأرض تسبح لله عَزَّ وَجَلَّ، ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء:٤٤]، والله عَزَّ وَجَلَّ محمود بكل لسان، سواء بلسان الحال أو بلسان المقال.

(**المعبود في كل زمان**) الله عَزَّ وَجَلَّ معبود في كل زمان، أيضًا العبودية تنقسم إلى قسمين:

العبودية العامة: التي هي عبودية القهر، وهذه العبودية شاملة لا يخرج عنها أحد.

والعبودية الخاصة: التي تكون بالاختيار والتي تكون بالتقرب إلى الله عَزَّ وَجَلَّ.

وكلا النوعين صحيح، العبودية العامة طبعًا هي عامة، العبودية الخاصة أن لا يخلو زمان ومكان ممن يعبد الله عَزَّ وَجَلَّ، ولو كثر الكافرون، هناك من يعبد الله في كل زمان ومكان.

(**الذي لا يخلو من علمه مكان**) بدأ في ذكر صفات الله عَزَّ وَجَلَّ الذي لا يخلو من علمه مكان، يريد الموفق هنا أن يبين أن المعية العامة التي بيّنها الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾[الحديد:٤] المراد بها عموم علمه، المعية العامة التي تقتضي الرؤية والإحاطة والعلم، لا يخلو من علمه مكان، فليس هناك مكان ظاهر أو خفي، قريب أو بعيد؛ إلا وعلم الله عَزَّ وَجَلَّ شامل له، فعلم الله عَزَّ وَجَلَّ شامل ومحيط، يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام:٥٩]، ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر:١٩]؛ إذًا علم الله عَزَّ وَجَلَّ شامل ومحيط.

(**ولا يشغله شأن عن شأن**) الله عَزَّ وَجَلَّ هو رب العالمين، وهو لا يشغله شأن عن شأن آخر مثل ما هو للمخلوقين، المخلوقون إذا انشغلوا بشيء انشغلوا به، هذا الشغل يشغلهم عن الأشغال الأخرى، أما الله عَزَّ وَجَلَّ ففي لحظة واحدة يتوجه إليه الملايين بالدعاء، هذا يريد شيئًا، وذاك يريد شيئًا، والله عَزَّ وَجَلَّ يسمعهم في

تلك اللحظة، يسمع الجميع، ويجيب الجميع، يجيب بعضهم ويمنع بعضهم، يضر وينفع في لحظة، وهو الله عَزَّ وَجَلَّ لا يشغله شأن عن شأن، وهذا يدل على عموم علمه وعلى عموم قدرته، وهو ليس مثل المخلوقين، حتى ولو كان قادرًا، يعني شغل يشغله عن شغل، والله عَزَّ وَجَلَّ ليس هكذا، ولا يشغله شأن عن شأن.

(جل عن الأشباه والأنداد، وتنزه عن الصاحبة والأولاد)

جلَّ أي: تنزه وتقدس عن الأشباه والأنداد، طبعًا هذا كله فيه مدح لذكر الصفات السلبية.

(**جل عن الأشباه**) ليس له شبيه، وليس له ند، وليس له صاحبة، وليس له ولد، ودائمًا الصفات السلبية التي تُذكر يكون المقصود بها إثبات كمال الضد، لا يُكتفى بها؛ لأن النفي لوحده النفي بذاته لا يكون مقصودًا، ولا يكون فيه مدحًا أصلًا، إلا إذا تضمن إثباتًا وكمالًا.

(**جل عن الأشباه والأنداد**) ليس هناك من يشبهه، وليس هناك من هو ند له، (**وتنزه عن الصاحبة والأولاد**)، لأن الله عَزَّ وَجَلَّ -كما في سورة الإخلاص- ليس له أصل، وليس له فرع، لم يلد ولم يولد، الله عَزَّ وَجَلَّ ليس له أصل فيكون مثله، وليس له فرع فيقاس عليه، الله عَزَّ وَجَلَّ تنزه عن الصاحبة والأولاد؛ لأنه أحد، وهذا التشبيه الذي ننفيه معناه: ننفي عن غير الله عَزَّ وَجَلَّ الخصائص التي يختص الله عَزَّ وَجَلَّ بها.

فمثلًا نحن نثبت أن الله عَزَّ وَجَلَّ متصف بالعلم، وننفي عن غيره أن يتصف بعلم مثل علم الله عَزَّ وَجَلَّ، ليس معناه أنك إما أن تثبت العلم للمخلوق فتنفيه عن الله عَزَّ وَجَلَّ أو العكس، لا، تثبت العلم الخاص اللائق بكمال الله عَزَّ وَجَلَّ وجلاله، وتنفي خصائص العلم التي تثبتها لله عَزَّ وَجَلَّ، تنفيها عن المخلوق، هذا هو نفي التشبيه.

نكتفي بهذا القدر، وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

السؤال: أليس في سورة النجم دليل على المعراج نفسه، وأنت ذكرت أنه لا يوجد دليل في القرآن؟

الجواب: نعم، إشارة، ليس صريحًا مثل الإسراء، الإسراء ورد مصرحًا به بالقرآن ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء:١]، أما المعراج فقد أشير إليه في الآيات التي تشير إليها، لم يرد مصرحًا به مثل الإسراء.

السؤال: هل هناك فرق في العذاب بين المشركين في السابق والآن؟

الجواب: إذا تحقق الشرك ليس هناك شرك قدماء وشرك.. لا يفرق، وهذا الذي أراده الشيخ الإمام، أن الشرك إذا حصل فلا يفرق فيه بالنظر إلى من أشركته بالله عَزَّ وَجَلَّ، ولا بالنظر إلى الزمان.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَىٰ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

اللّٰهم اغفر لنا ولشيخنا ولوالديه ولمشايخه والمسلمين.

قال الإمام: أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ في كتابه **لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد:**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة ابن قدامة رحمه الله

الحمد لله المحمود بكل لسان، المعبود في كل زمان، الذي لا يخلو من علمه مكان، ولا يشغله شأن عن شأن، جل عن الأشباه والأنداد، وتنزه عن الصاحبة والأولاد، ونفذ حكمه في جميع العباد لا تمثله العقول بالتفكير، ولا تتوهمه القلوب بالتصوير، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١]، له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٦﴾ وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾﴾ [طه: ٥ - ٧] أحاط بكل شيء علمًا، وقهر كل مخلوق عزة وحكمًا، ووسع كل شيء رحمة وعلمًا، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا

يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ [طه: ١١٠]، موصوف بما وصف به نفسه في كتابه العظيم، وعلى لسان نبيه الكريم.

وكل ما جاء في القرآن أو صح عن المصطفى عَلَيْهِ السَّلَامُ من صفات الرحمن وجب الإيمان به، وتلقيه بالتسليم والقبول، وترك التعرض له بالرد والتأويل والتشبيه والتمثيل.

التعليق:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، نحمده ونصلي على رسوله الكريم؛ أَمَّا بَعْدُ: -

يقول الإمام الموفق ابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ: (**جل عن الأشباه والأنداد، وتنزه عن الصاحبة والأولاد**) سبق أن علقنا وشرحنا قوله: (**جل عن الأشباه والأنداد**)، وتنزه أي: تقدس، تقدس سُبْحَانَهُ عن الصاحبة والأولاد، يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١-٤].

بما أن الله عَزَّ وَجَلَّ غني عن خلقه، وكل ما سواه بحاجة إليه في إيجاده وإمداده؛ فهو ليس بحاجة إلى الصاحبة، كما أنه ليس بحاجة إلى الأولاد؛ لأن من يكون بحاجة إلى الصاحبة والأولاد يكون فيه فقر واحتياج، والله عَزَّ وَجَلَّ غني عن خلقه، وهذه الأشياء كلها محتاجة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ.

وهذه الأشياء يحتاج إليها المخلوق، أما الله عَزَّ وَجَلَّ فلغناه الكامل، ولتفرده، ووحدانيته التي تستلزم الكمال المطلق -لا يحتاج إلى الصاحبة والأولاد، ففي سورة الإخلاص بيان أن الله عَزَّ وَجَلَّ ليس له أصل، وليس له فرع؛ لأنه ليس له كفًوا أحد، ليس له مثيل، ليس له شبيه.

ثم قال: (**ونفذ حكمه في جميع العباد**) الحكم الذي يشير إليه الإمام ابن قدامة هو الحكم القدري، لأن أحكام الله عَزَّ وَجَلَّ تنقسم إلى قسمين: أحكام قدرية، وأحكام شرعية، والفرق بينهما أن أحكامه القدرية تنفذ ولا تتخلف، تنفذ في جميع العباد، ولا تتخلف، أما أحكامه الشرعية فقد تتخلف، كما أن الله عَزَّ وَجَلَّ أمر الجميع بالإيمان، وهناك كثيرون من لم يؤمنوا، فالحكم الشرعي متخلف في حقهم، لأن الله عَزَّ وَجَلَّ لا يُكرِه أحدا، ولا يجوز أن يكره أحدًا على الإيمان، ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩].

فحكمه الذي ينفذ ولا يتخلف هو حكمه القدري، أما حكمه الشرعي فينبغي أيضًا أن يكون لله عَزَّ وَجَلَّ، فلا تحتكم إلا إليه، هذا الذي طُلب منك، وهو -كما قلت- قد يتخلف وقد لا يتخلف.

(**ونفذ حكمه في جميع العباد**) لأنه لا أحد يستعصي على حكمه القدري.

(**لا تمثله العقول بالتفكير ولا تتوهمه القلوب بالتصوير** ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾) هنا يبين الإمام ابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ يبين المنهج الذي به تتعرف الله عَزَّ وَجَلَّ، به تعرفه، كيف تعرف الله عَزَّ وَجَلَّ؟

هل تعرفه بالتفكير عقلًا، تفكر وتصوِّر في ذهنك أنه ينبغي بما أن له الكمالات المطلقة فينبغي أن يكون كذا وكذا؟ هل بهذا المنهج تصل إليه؟ لا يمكن، كذلك تبدأ تتوهم بقلبك وتصور في ذهنك صورة حسنة، وتقول: هكذا ينبغي أن يكون الخالق، لا، لأن الله عَزَّ وَجَلَّ الطريق الوحيد لمعرفته هو الوحي.

والوحي نجد فيه أسماءه وصفاته التي بها تعرَّف إلى عباده، أما الكيف كيفيات أسمائه وصفاته، وكيف هو في ذاته وفي صفاته -هذا لا يمكن أن تصل إليه بالتفكير العقلي أو بالتوهم القلبي، لا يمكن؛ لأن الله عَزَّ وَجَلَّ -كما ذكر دليلًا- ليس كمثله شيء، هذا دليل لما ذكره، لماذا لا تمثله العقول بالتفكير، ولا تتوهمه القلوب بالتصوير؟ لأنه ليس كمثله شيء، لم تشاهده ولم تشاهد نظيره؛ وبالتالي لا يمكنك أن تصل إليه بالتفكير العقلي والتوهم القلبي، لا يمكن.

(﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾) هذا دليل، إذًا مهما بلغ العقل في فهمه وسعة خياله، لا يستطيع أن يمثل أو يشبه الله عَزَّ وَجَلَّ ذاته أو صفاته أو أسماءه، هذه قاعدة، حتى في إثباتك للأسماء والصفات لا بد أن تقطع الأمل في الوصول إلى الكيف؛ لأن الله عَزَّ وَجَلَّ أخبرنا عن أسمائه وصفاته، ولم يخبرنا عن كيفياتها.

(﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾) المثل هنا بمعنى الذات، أي: ليس كذاته شيء، وهذا هو الصحيح من أقوال العلماء، الكاف هنا لتأكيد النفي، بعضهم يقولون أنه زائد، والكلام هكذا: «ليس مثله شيء»، وهذا التعبير ليس دقيقًا، ليس هناك حرف زائد في القرآن الكريم، الحروف التي نظن أنها زائدة تكون هناك فائدة لها، هنا مثلًا الكاف لتأكيد النفي.

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ شيء هنا نكرة في سياق النفي، ليس كمثله شيءٌ، فلا تستثنِ شيئا، لا يمكنك أن تستثني شيئا؛ لأن هذا عام.

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ هذه الآية فيها رد على الممثلة والمعطلة، في آية واحدة، وهذه الآية من قواعد الأسماء والصفات، بعض الأسماء والصفات، فهذا الباب له قواعد، أهم القواعد هذه الآية، في هذه الآية يبين الله عَزَّ وَجَلَّ أنه لا يشبهه أحد، وليس مثله أحد، وليس معناه أنك لا تثبت له شيئًا، لا، فهو السميع البصير، الله عَزَّ وَجَلَّ أثبت لنفسه هذين الاسمين الكريمين، أنه سميع وبصير، والأسماء الحسنى تتضمن معاني، وهذه المعاني هي الصفات، فإذًا هو متصف بصفة السمع، ومتصف بصفة البصر، وهناك من المخلوقات من هو متصف بصفة السمع والبصر، وهناك من المخلوقات من يسمى سميعًا بصيرًا، ولكن ليس كمثله شيء.

خصائص سمع الله عَزَّ وَجَلَّ وخصائص بصر الله عَزَّ وَجَلَّ هذه لا تكون لأي مخلوق، هذه خاصة بالله عَزَّ وَجَلَّ، وهذا هو التشبيه الذي يجب نفيه، ليس ذلك التشبيه الذي ينفيه المتكلمون، وفي طيه ينفون الأسماء والصفات، يقولون: بما أن هناك من مخلوقاته من هو سميع، ومن مخلوقاته من هو بصير، وإذا سميتُ الله عَزَّ وَجَلَّ سميعًا بصيرًا -كأنه هو الذي يسمي-، إذا سميت الله عَزَّ وَجَلَّ سميعًا بصيرًا؛ فهذا يستلزم المشابهة، يستلزم أن يكون شبيهًا بالمخلوقات، أو يستلزم أن تكون مخلوقاته شبيهة به، وكأن الأمر متروك لهم، أنت تسمي أو لا تسمي، لا، ليس الأمر إليك.

أسماء الله عَزَّ وَجَلَّ وصفاته توقيفية، لا نثبت له من الأسماء والصفات إلا ما أثبتها لنفسه، كما سيأتي في كلام ابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ.

إذًا نثبت الأسماء والصفات، وبذلك نخالف المعطلة كما في هذه الآية، نثبتها مخالفة للمعطلة، ولا نشبه صفاته وأسماءه بصفات وأسماء المخلوقين كما هو حال الممثلة، الذين يثبتون ولكنهم يشبهون، والمعطلة لا يثبتون، يقولون: إذا أثبتنا؛ يستلزم التشبيه والتمثيل.

وهذه الآية بدايتها: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، هذه الجملة تجدونها في كتب المتكلمين، وهذه الآية من الآيات التي يستدلون بها كثيرًا، تجدونها في كتبهم يستدلون بها للنفي، ولكن نادرًا ما تجدونهم يكملونها، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ إلى

هنا هذه الآية دائمًا يذكرونها، ويستدلون بها، ينفون على الله عَزَّ وَجَلَّ، وينفون صفاته أو بعض صفاته؛ زعمًا منهم أن فيها تشبيهًا، ثم يوردون هذه الآية: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، أين تكملة الآية؟ أكمل الآية.

هذه المنظومة تكتمل في نفس الآية، إثبات بلا تمثيل، وإثبات بلا تعطيل؛ لأنك إذا أثبت فقد نجوت من التعطيل، وإذا أثبت كما ينبغي نجوت من التمثيل، فلذلك أحدهم اقترح، وهو ابن أبي دؤاد، هذا أحمد البدعة الذي كان على رأس من يمتحن الإمام أحمد، هذا أحمد، اسمه أحمد بن أبي دؤاد، وقد لقبه العلماء بأحمد البدعة، لأن من قابله -الإمام أحمد- هو أحمد السنة، أحمد البدعة هذا اقترح على المأمون أن يكتب على غلاف الكعبة أو على باب الكعبة، أن يكتب: ليس كمثله شيء وهو العزيز الحكيم، سبحان الله! يعني ما يكفيك ما اختاره الله عَزَّ وَجَلَّ، وترى أن ما تكلم به الله عَزَّ وَجَلَّ فيه نقص يوهم التشبيه ويوهم الكفر، أما ما تقترح به: ليس كمثله شيء وهو العزيز الحكيم. هكذا اقترح.

ثم قال: (**له الأسماء الحسنىٰ، والصفات العلىٰ**) الحسنى: هذه أفعل تفضيل، معناها أنها بلغت في الحسن غايتها، الأحسن في المذكر الحسنى في المؤنث، أفعل التفضيل، له الأسماء التي بلغت في الحسن غايته، فلذلك أسماء الله عَزَّ وَجَلَّ المعاني التي تتضمنها تكون كلها كمالات لائقة بالله عَزَّ وَجَلَّ، ولذلك يثبتها الله عَزَّ وَجَلَّ لنفسه.

هل تعتقد أن الله عَزَّ وَجَلَّ يثبت لنفسه ما فيه نسبة العيب إليه؟ هذه إساءة الظن في الله عَزَّ وَجَلَّ، الذي وقع فيه المعطلة والمتكلمون على طوائفهم، الله عَزَّ وَجَلَّ لا يثبت لنفسه إلا ما يكون لائقًا بكماله وجلاله، يجب أن تعتقد هذا؛ حتى لا تسيء الظن برب العالمين، إذًا أسماؤه حسنى كما وصفها في كتابه في ثلاثة مواضع من كتابه.

وصفاته صفات عليا في ألفاظها وفي معانيها، فلا ينبغي أن تعطلها؛ لأنها صفات عليا يستحقها الله عَزَّ وَجَلَّ.

ثم قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ۝٥ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ۝٦ وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧﴾، قال الله عَزَّ وَجَلَّ قبلها: ﴿تَنزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى﴾[طه:٤].

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ۝٥﴾ الله عَزَّ وَجَلَّ أخبر رسوله بأن إنزاله للقرآن ليس لشقاوته ﴿طه ۝١ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ۝٢﴾ [طه:١-٢]، هذا القرآن ما نزل لتكون تكاليفه سبب شقاوة لك لا، والقرآن أيضًا ما نزل لأنه يحتاج إليك وإلى المخلوق لا، لماذا؟ لأنه ﴿تَنزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى﴾ الذي نزَّله بيده كل شيء، فلا يحتاج إلى المخلوق، ولا يحتاج إلى الأنبياء، ولا يحتاج إلى الرسل، ولا يحتاج إلى الأولياء، ما هو المطلوب؟ ولا يشقى به أحد، بل هو سبب لسعادة الجميع، فالله عَزَّ وَجَلَّ بعد ما ذكر أن له السماوات، وأن له كل شيء؛ تمدَّح

بهذه الصفة: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ۝٥﴾، القرآن تنزيل من الرحمن الذي هو على العرش استوى، إذًا هذه الصفة ذكرها الله عَزَّ وَجَلَّ في موضع التمدح تمدح بها، فهل يليق أن ننفيها أو نعطلها؟ لا، ينبغي أن نفهمها كما فهمها السلف الصالح.

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكًا وخلقًا، كل ما في السماوات وما في الأرض له سُبْحَانَهُ ملكًا وخلقًا، وكلهم عبيده، وما بينهما وما بين السماء والأرض، العوالم التي ما بينهما ما ندري عنها، نحن إلى الآن ما ندري عن العوالم التي تتبع الكرة الأرضية هذه، فهي عوالم لا يعرفها إلا الله عَزَّ وَجَلَّ، كلها لله عَزَّ وَجَلَّ ملكًا وخلقًا.

﴿وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ ما تحت التراب، أيضًا الله عَزَّ وَجَلَّ هو الذي يملكها، وهو الذي يعلم بها وبتفاصيلها.

﴿وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ هنا يبين الله عَزَّ وَجَلَّ بعض صفات علمه، العلم الذي يتصف به الله عَزَّ وَجَلَّ أنه إن تجهر بالقول يعلمه، وهذا لا إشكال فيه، وإن أسررته أيضًا يعلمه، وإذا كان أخفى من السر، ما هو الأخفى من السر؟ هو الشيء الذي لم تتخيله إلى الآن، وتحدث نفسك به وستفكر فيه، هذا أيضًا يعلمه الله عَزَّ وَجَلَّ، ليس هناك شيء يخفى على الله عَزَّ وَجَلَّ.

هنا في قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ الله عَزَّ وَجَلَّ أثبت لنفسه ماذا؟ استواءه على العرش، وهذه الصفة من الصفات الفعلية التي تتعلق بمشيئته وقدرته،

وهناك الصفات الذاتية التي اتصف بها الله عَزَّ وَجَلَّ أزلًا وأبدًا، ذاته المقدسة لا تنفك عنها، أما الصفات الفعلية فهي الصفات التي تتعلق بمشيئته وقدرته.

فالله عَزَّ وَجَلَّ استوى بعد ما خلق السماوات والأرض، هذا يدل على أن هذه الصفة ليست أزلية، وهناك فرق بين صفة الاستواء وصفة العلو، صفة العلو أزلية، الله عَزَّ وَجَلَّ يتصف بها أزلًا وأبدًا، ومن أدلة العلو: الآيات التي وردت في صفة الاستواء، لأن الاستواء هو العلو والارتفاع، ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ۝﴾ أي: علا وارتفع، كيف؟ لا ندري، ولا يجوز أن نقيس استواء الله عَزَّ وَجَلَّ على استواء المخلوقين؛ لأن استواء المخلوقين فيه احتياج، المستوي يخر إذا سقط المستوى عليه، لأنه يحتاج إليه.

أما الله عَزَّ وَجَلَّ هو الذي خلق العرش، فهل يحتاج إلى العرش؟ وهو الذي خلق حملة العرش، فلا يحتاج إليهم، فاستواء الله عَزَّ وَجَلَّ يليق بكماله وجلاله، فلذلك لا ينبغي أن نفهمها إلا هكذا، لأن الله عَزَّ وَجَلَّ أثبتها لنفسه، أثبتها في سبع آيات في القرآن الكريم، فهل يحسن بعد ذلك أن نأتي ونقول: الاستواء الذي تثبتونه أنتم.. هكذا يقول المتكلمون، يقولون: الاستواء الذي تثبتونه. نحن ما نثبته، ولا يجوز أن نثبته إلا إذا كان الله عَزَّ وَجَلَّ أثبته لنفسه، نحن لا نثبت إلا ما أثبته الله عَزَّ وَجَلَّ لنفسه، ولكن الله عَزَّ وَجَلَّ إذا أثبت لنفسه شيئًا فلا يكون إلا كمالًا يستحقه.

فهم يقولون: الاستواء الذي تثبتونه لا يليق بالله عَزَّ وَجَلَّ؛ لأنه يستلزم الفقر، ويستلزم الاحتياج، والله عَزَّ وَجَلَّ ليس محتاجًا إلى غيره. وأيضًا يقولون: قبل خلق العرش لم يكن في مكان، فهو الآن على مكان. هذا التفلسف وهذه التخرصات أمام الوحي، أمام ما يخبرنا عنه الله عَزَّ وَجَلَّ بنفسه، هذه كلها تخرصات.

فلا يجوز أن تناقش الله عَزَّ وَجَلَّ فيما يقول، هذا الذي يناقشك في هذه المسائل كأنه يناقش الله عَزَّ وَجَلَّ، فلذلك قل له: ناقش الله عَزَّ وَجَلَّ، وجه سؤالك إليه؛ لأنني ألتزم بما قاله الله عَزَّ وَجَلَّ، وبما قاله رسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وليس لي ولك أن نثبت شيئًا لم يثبته الله عَزَّ وَجَلَّ في كتابه أو في سنته الصحيحة.

ثم قال: (**أحاط بكل شيء علمًا، وقهر كل مخلوق عزة وحكمًا، ووسع كل شيء رحمة وعلمًا**)، لا زال يتحدث عن العلم، (**أحاط بكل شيء علمًا**)، لا بد أن تؤمن أن الله عَزَّ وَجَلَّ علمه شامل ومحيط، يعلم كل شيء، يعلم كل ما في الأكوان، يعلم كل ما حصل، وكل ما سيحصل، ويعلم أيضًا ما لم يحصل أن لو حصل كيف يكون، يعلم هذا كله، أحاط بكل شيء علمًا، وهذا عموم مطلق لا يستثنى منه شيء، يعلم كل شيء.

(**وقهر كل مخلوق**) قهره بماذا؟ بعزته، وهي القوة، أيضًا بحكمه، الحكم هنا هو الحكم القدري، وهو الذي سبق أن ذكره؛ (**نفذ حكمه في جميع العباد**)، قهر الجميع عزة وحكمًا، فمن هناك من المخلوقين من يزعم أنه ليس مقهورًا، وينازع

الله عَزَّ وَجَلَّ في خلقه وقهره وفي عباده، وهو لا يدري أنه لا يملك من نفسه شيئًا، ولد في الوقت الذي أراده الله عَزَّ وَجَلَّ، وسيموت في الوقت الذي يريده هو عَزَّ وَجَلَّ، وإن مرض فلا يملك لنفسه شيئًا، هو مقهور تجري عليه أقدار الله عَزَّ وَجَلَّ رغم أنفه، ولذلك لا يخرج عن حكمه، الله عَزَّ وَجَلَّ قهر الجميع بعزته وحكمه، ليس هناك من هو يخرج عن حكمه وعن قهره، وهذا الحكم القدري يجري على الجميع.

الحكم الشرعي لله عَزَّ وَجَلَّ يجب على الجميع أن يحتكم إليه، ولكن كما قلت: قد يتخلف في حق بعض الناس الذين لم يؤمنوا.

(**ووسع كل شيء رحمة**) رحمة الله عَزَّ وَجَلَّ التي أثبتها لنفسه هذه وسعت كل شيء، ووسع أيضًا علمًا، لأن علمه كما قلنا شامل ومحيط.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ ما بين أيديهم هم الذي سيعملونه، لم يعملوه إلى الآن، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ هو الذي عملوه، ما عملوه وما سيعملونه هذا كله لا يخفى على الله عَزَّ وَجَلَّ، يعلمه بالتفصيل، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ الله عَزَّ وَجَلَّ يحيط بمخلوقاته علمًا، أما مخلوقاته فلا يحيطون به علمًا؛ لأنهم لا يعلمون إلا بالقدر الذي أعلمهم إياه بوحيه.

(**موصوف بما وصف به نفسه في كتابه العظيم**) إذًا كل صفة نجدها في القرآن فلا بد أن نصفه بها، وهذه القواعد مهمة، هذه القواعد يقدم بها ويمهد بها ليبين

مستقبلًا أن له صفات كثيرة سيبينها، سيبين أن صفات الله عَزَّ وَجَلَّ -سواء وردت في كتابه، وسواء وردت في سنته الصحيحة- يجب أن نصفه بها.

(**وهو موصوف بما وصف به نفسه في كتابه العظيم وعلىٰ لسان نبيه الكريم**) هو يشير هنا إلى أن أسماءه وصفاته توقيفية، وأنه لا ينبغي أن تصفه إلا بما وصف به نفسه، وكذلك ما نفى عن نفسه فيجب أن تنفيه، والله عَزَّ وَجَلَّ لا ينفي عن نفسه إلا ما كان عيبًا لا يليق بكماله وجلاله.

بالنسبة للإثبات: لا نثبت إلا ما ورد في الكتاب والسنة، وهذا باب الأسماء والصفات توقيفي، وأما باب الإخبار: لما تخبر عن الله عَزَّ وَجَلَّ فهذا ليس توقيفيًّا، ولكن تتقيد بأن يكون المعنى صحيحًا، مثل إذا أردت تتحدث بغير العربية تخبر عن الله عَزَّ وَجَلَّ، وحتى باللغة العربية تخبر عن الله عَزَّ وَجَلَّ، يجوز أن تخبر به بالمعاني الصحيحة ما لم يكن فيها عيب، أما وصفه أو تسميته فلا يجوز إلا بما ورد، هذا الباب توقيفي، باب الأسماء وباب الصفات، وباب الإخبار أوسع الأبواب.

أما ما يتعلق بالنفي: فما نفى الله عَزَّ وَجَلَّ عن نفسه ننفيه، ليس كمثله شيء، المثل والشبيه ننفيه، فإذًا ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ [ق:٣٨] ننفيه، ﴿وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة:٢٥٥] ننفيه، نقول أن حفظ السماوات والأرض لا يكرث الله عَزَّ وَجَلَّ، لا يتعبه، ننفي هذه الأمور، ولا إشكال في ذلك.

أيضًا ننفي كل ما يكون مناقضًا للأسماء والصفات التي أثبتها، وهذا مهم؛ لأن الأول واضح، فالله عَزَّ وَجَلَّ أثبت لنفسه الصمد: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢﴾ [الإخلاص:١-٢] وأثبت لنفسه الأحدية، ومن أسمائه الواحد، ومن أسمائه الأحد.

إذًا كل ما كان فيه إشراك بالله عَزَّ وَجَلَّ هذا تمثيل؛ لأنه يناقض ما أثبته الله لنفسه، وكل ما كان فيه احتياج أيضًا تنفيه، لماذا؟ لأنه يناقض ما أثبته الله عَزَّ وَجَلَّ لنفسه، ولكن ليس على طريقة المتكلمين الطريقة العوجاء التي تصادم ما أثبته الله عَزَّ وَجَلَّ، كل ما أثبته الله عَزَّ وَجَلَّ في كتابه أو أثبته رسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سنته هذا نثبته، نثبته على ما يليق به وكماله وجلاله، وبالتالي لن نقع في التشبيه، في النفي نلاحظ أن أي معنى يصادم ويضاد ما أثبته الله عَزَّ وَجَلَّ لنفسه ننفيه، الله عَزَّ وَجَلَّ أثبت لنفسه الكمالات المطلقة، (**موصوف بما وصف به نفسه في كتابه العظيم، وعلىٰ لسان نبيه الكريم**).

الإمام الموفق لم يكتفِ بهذا، بل أضاف وقال: (**وكل ما جاء في القرآن، أو صح عن المصطفىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ من صفات الرحمن -وجب الإيمان به، وتلقيه بالتسليم والقبول**) وهذه قاعدة من أهم القواعد في باب الأسماء والصفات، بل هذه القاعدة هي الأساس في باب الأسماء والصفات، كل ما جاء في القرآن نثبته، وجب الإيمان به، ليس لك خيار فيها، ليس لك أن تبحث فيها: هل فيها تنزيه لله عَزَّ وَجَلَّ

فتثبتها، أو فيها تشبيه فلا تثبتها، لا، ليس الأمر إليك، كل ما أثبته الله عَزَّ وَجَلَّ لنفسه في القرآن وجب إثباته، ليس لك خيار فيه.

والذين تلكأوا في إثبات ما أثبته الله عَزَّ وَجَلَّ لنفسه انتهجوا المنهج الباطل؛ لأنهم لم يفهموا ما أثبته الله عَزَّ وَجَلَّ لنفسه، وما نسبه إلى نفسه المقدسة، وما أضافه إلى نفسه المقدسة، لم يفهموه على ما يليق به وبكماله وجلاله، وبالتالي وقعوا في التعطيل، كما أن المشبهة وقعوا في التشبيه، أما إذا فهمتها على ما يليق به -وهذا الذي يجب-؛ فلا إشكال في هذا.

الاستواء الذي يليق بكماله وجلاله، الذي ليس فيه افتقار واحتياج -تثبته، ما الذي يكلفك؟ أما هذا المعطل الذي يقول: الاستواء لا أثبته؛ لأن فيه احتياجًا. فسبحان الله! أول ما فيه استدراك على الله عَزَّ وَجَلَّ، ما الحل؟ يقول لك: إما أن تفوض، وإما أن تؤول، كيف أفوض؟ يقول: يبدأ التفويض بالإنكار. يقول: لا بد أن تعتقد أن ظاهره غير مراد. إذا كان ظاهره غير مراد، فوضت في ماذا؟ أنت لم تفوض، يقول: الظاهر غير مراد. ما هو المراد؟ الله أعلم، هذا تفويضه.

وإما أن تؤول، كيف تؤول؟ تبحث عما لا يليق به؛ لأن المعنى الذي أثبته الله عَزَّ وَجَلَّ لنفسه لا يليق به. الله المستعان! المعنى الذي أثبته الله عَزَّ وَجَلَّ لا يليق به، وتبحث عن معنى يليق به! بحثوا وقالوا: المعنى الذي يليق به هو الاستيلاء، الرحمن على العرش استوى أي: استولى، استولى على هذا المخلوق. قالوا لماذا ذكر

العرش؟ قالوا: لأنه مخلوق عظيم، فاستيلاؤه عليه يدل على أنه استولى على كل شيء!

قلنا لهم: الاستيلاء لا بد فيه من مغالبة. أنا الآن هل يصح أن أقول: استوليت على الكرسي؟ لا، لأنه ليست هناك مغالبة ومنازعة، جئت وجلست، فلو قلت: استوليت على هذا الكرسي ماذا ستقولون؟ لم أستولِ على الكرسي؛ لأنه لا أحد نازعني، بل الإخوة أكرموني وكذا، وقالوا: هذا لك، فلا أحد نازعني، فلا يجوز أن أقول: استوليت على الكرسي أبدًا، بمجرد أن أقول: اليوم استوليت على الكرسي. الإخوة في الإدارة سيأخذون فكرة: ما الذي حدث اليوم؟ كلهم سيبحثون: من الذي شوش؟

الله عَزَّ وَجَلَّ من الذي غالبه حتى استولى على العرش؟ فماذا قالوا؟ قالوا: نحن نثبت له استيلاءً يليق به، استيلاء لا مغالبة فيه. نقول لهم: اتقوا الله في كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، احترموه، كلام الله عَزَّ وَجَلَّ الذي أثبته لنفسه لم تحترمه، وقلت: فيه تشبيه، وفيه إثبات ما لا يليق بالله عَزَّ وَجَلَّ، أما ما جئت به فنزهتَه، قلت: هذا الاستيلاء يليق بالله عَزَّ وَجَلَّ، لا مغالبة فيه.

فنقول لهم: لو فهمتهم هذا من البداية؛ ما كان هناك إشكال، لو فهمتم أن استواء الله عَزَّ وَجَلَّ الذي تمدَّح به والذي أخبرنا عنه في سبع آيات من القرآن، لو فهمتم أنه استواء يليق بكماله وجلاله، وليس استواءً كاستواء المخلوق؛ انتهى الأمر

من البداية، كيف أننا وصلنا في الأخير إلى التنزيه؟ وبالتالي فإن اللفظ الذي جاءوا به هذا لا يليق بالله عَزَّ وَجَلَّ أصلًا، أن تنسب إليه الاستيلاء؛ لأن هذا كما قلت يوحي بأن هناك مغالبة، وبعد المغالبة كان الاستيلاء، أعوذ بالله! لا يجوز أن تُنسب هذه الصفة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ؛ أولًا: لأنها لم ترد. وثانيًا: لأن معناها لا يليق بالله عَزَّ وَجَلَّ، إذًا كل ما جاء في القرآن نثبته، ولا نناقش، طبعًا سيأتي تعليق المؤلف، التعليق الجميل على هذا، ولذلك كرر، مع أنه ذكره فيه، (**وترك التعرض له بالرد والتأويل والتشبيه والتمثيل**).

قد يقول قائل: أنتم دائما تقولون يا من تدعون السنة والجماعة، دائما تقولون: نحن نثبت كل ما جاء في القرآن. وهل غيركم يناقش في ذلك؟ أليس الجميع ممن يؤمن بالله ربًّا وبمحمد رسولًا يعتقد هذا الاعتقاد، إلا أن الاختلاف في كيفية الفهم؟

ولكن أنا أسأله: هنا في هذا المثال الله عَزَّ وَجَلَّ أثبت لنفسه الاستواء، هل أثبتَّه؟ لم تثبته، ألم يظهر الفرق بينك وبين السني الذي يستحق هذا اللقب الشريف: أهل السنة والجماعة؟ أنت لم تأخذ بالقرآن، لو أخذت بما جاء في القرآن؛ لم نكن بحاجة إلى مثل هذه التأصيلات أصلًا؛ لأن هذه التأصيلات جاءت بعد ما وُجد من يعطل، ووُجد من يشبه ووُجد من يناقش الله عَزَّ وَجَلَّ فيما يثبته لنفسه، كل هذه تأكيدات للرد عليك وعلى أمثالك.

ما يتعلق بالقرآن الخلاف فيه قد لا يكون بذاك الطول، ما يتعلق بالسنة: الخلاف فيها أطول؛ لأن ما يتعلق بالقرآن الخلاف فيه من حيث الدلالة، أما من حيث الثبوت في كونه متواترًا: أهل البدع لا يستطيع أحد منهم أن يقول: هذه الآية ظنية الثبوت، فلذلك غالب ألاعيبه تتعلق بالمعنى، بالتحريف والتأويل والمجاز والتخييل، ما يتعلق بالسنة الخلاف فيها أعمق.

يقول المؤلف: (**أو صح عن المصطفىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ من صفات الرحمن وجب الإيمان به وتلقيه بالتسليم والقبول**)، (**أو صح عن المصطفىٰ**)، لم يقل: أو تواتر عن المصطفى، ركزوا على عبارة المؤلف: (**أو صح عن المصطفىٰ**)، والسنة الصحيحة سواء كانت متواترة أو كانت من أخبار الآحاد -وهي الأكثر- وجب الإيمان بها، وجب الإيمان بها في ماذا؟ نحن في مجال العقيدة، ولذلك لا يحتاج أن أقول: وجب الإيمان بها حتى في باب العقائد؛ لأن الحديث أصلًا في باب العقائد.

أخبار الآحاد

(**وجب الإيمان به، وتلقيه بالتسليم والقبول، وترك التعرض له بالرد والتأويل والتشبيه والتمثيل**).

أخبار الآحاد: الذي نجده عن أهل البدع عمومًا تقسيمهم الحديث إلى متواتر وآحاد، والقول بأن الآحاد لا تفيد إلا الظن، وهذا قديم، وأول من ذهب إليه هم

المعتزلة، والمعتزلة ذهبوا إلى هذا لنسف السنة بكاملها، ولذلك ليس هناك حديث يحتج به المعتزلي، حتى أحاديث الرؤية التي هي متواترة عند المحدثين، هي أخبار آحاد عند المعتزلة، وعندهم أن أخبار الآحاد لا تفيد اليقين، وللأسف تأثر به المتكلمون عمومًا أشاعرة وماتريدية، وبدأوا يقولون أن أخبار الآحاد لا تفيد اليقين، وبالتالي لا يستدل بها في الاعتقاديات واليقينيات.

✍ وهذا معناه: أنك لا يجوز أن تستدل بأي حديث، حتى ولو كان متفقًا عليه؛ لأنه من أقوال الآحاد، حتى ولو أخرجه الشيخان في صحيحهما، وحتى ولو اجتمع على إخراجه الكتب الستة والكتب التسعة لا، لا زال خبرًا واحدًا، لا زال من أخبار الآحاد، فلا يجوز الأخذ به.

وأنت لما تقرأ في أصول الفقه ما الذي تجده في أصول الفقه؟ يقولون: اختلف العلماء في الاستدلال بأخبار الآحاد في العقائد.

القول الأول: هو قول الجماهير، وهو أنها لا تفيد إلا الظن، وباب العقائد هو باب لا يؤخذ فيه إلا بالأدلة القطعية، هذا قول الجماهير.

القول الثاني: رواية عن الإمام أحمد، أنه يجوز الاستدلال بأخبار الآحاد في باب الاعتقاد، هكذا يورد، ليس هذا تصويرًا مني، هذه المسألة تصوَّر وتجدونها هكذا في كتب أصول الفقه، وبالتالي ما هي النتيجة التي ستخلص إليها؟ رواية عن الإمام أحمد في مقابل الجماهير الأئمة الأربعة، بما فيهم الإمام أحمد، لأن هذه رواية عنه،

معنى هذا أن هناك رواية أخرى توافق، حتى ولو لم يوافقهم، أين الأئمة الثلاثة من الإمام أحمد؟ وغيرهم الأئمة المعروفون كلهم على قولهم بهذا، هكذا يصوِّرون.

وبعضهم كما ذكر الإمام ابن القيم يبدأ يتهكم، يقول: على قول الإمام أحمد يلزمه أن نصدق بكل خبر، مع أن الموضوع هو أخبار الآحاد الصحيحة، أحاديث النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي صححها العلماء، وهم لما يصححون حديثًا تدرون كم من المراتب وكم من المفاوز يجتازونها حتى يصلوا إلى صحة الحديث؟ هذا سيعرفه من درس شيئًا من مصطلح الحديث.

الحديث الأول الذي أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، هذا الحديث الذي أخرجه عن شيخه الحميدي عن شيخه ابن عيينة عن فلان عن فلان، كل راوٍ من هؤلاء يُدرس بدقة عند المحدثين، يدرسون أحواله، وترجمته، وتلاميذه، وشيوخه، أين التقى بهذا الشيخ؟ لأن بعضهم يقول: حدثني فلان. ولا يكون التقى به، هناك تدليس، وهناك مرسل خفي، أنواع يتأكدون منها في هذا الشيخ لوحده، ثم من بعده، ثم من بعده، إلى أن يصلوا إلى الصحابي، بعد ذلك يقول: هذا الحديث صحيح، إن لم يكن صحيحًا؛ فهناك المئات من المحدثين الذين سيقولون له: هذا ليس بصحيح، كيف تقول: صحيح، وفيه كذا وكذا؟

هذا الموضوع حوَّلوه إلى حديث عام، إذًا يلزمهم أن نصدق بكل حديث، نحن نتحدث عن الحديث الصحيح الذي صح بشروط المحدثين، هذه الشروط التي لا يتحملها الجبال، أنت تأتي فيما بعد وتستهزئ بهذا الذي نسبتَه إلى الإمام أحمد.

✍ **والصحيح**: أن المسألة هكذا كما ذكر هنا الإمام الموفق: أخبار الآحاد يجب الأخذ بها في الاعتقاديات، وفي الأحكام، وفي جميع أبواب الدين، وهذا هو قول جماهير الأئمة قديمًا وحديثًا، وخالفهم شرذمة من المتكلمين، لا يؤخذ عنهم في هذا الباب أصلًا، هم أصلًا مبتدعة، فنظرتهم للحديث أصلًا ليست صحيحة، وللأسف ما نجده في كتب أصول الفقه هذا يحتاج إلى أن نلتفت إليه، وأن نلحظ ما فيه من تأثير المتكلمين؛ حتى نسلم من غوائلهم، لأن هذا المتكلم.. مثلًا الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ كتب في الاعتقاد، (الاقتصاد في الاعتقاد) كتاب في العقيدة، وكتاب في أصول الفقه: (المستصفى)، كتاب في الأسماء الحسنى، وهكذا في كل مجال، فتجده يروج ما عنده من الكلام ومن البدع في جميع الكتب.

وهذا الذي ذكره الإمام الموفق، هذا مما يميز أهل السنة والجماعة في هذا الباب، من أهم ما يميز أهل السنة والجماعة في باب الاعتقاديات أو العقائد أنهم يأخذون ويستدلون بسنة النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يعبؤون ما نجده عند المتكلمين من أن هذا من أخبار الآحاد، لا يؤخذ به، وهذا كذا يؤخذ به، لا، وأن المجال أصلًا ليس مجالهم، ففي هذا الباب ينبغي أن لا تأخذ منه؛ لأن المجال ليس مجالهم،

مصطلح الحديث يكتب عنه شخص ليس له في الحديث باع لماذا؟ أصلًا الجويني رَحِمَهُ اللَّهُ لما يكتب في أصول الفقه يقال له: هذا ليس مجالك، هذا مجال المحدثين الأئمة؛ الإمام البخاري، وتلميذه ابن خزيمة، وتلاميذه، وشيوخه، هذا مجالهم؛ لأنهم هم الذين تعبوا فيه.

أما أن يكون العلم والتخصص لفئة، وتأتي فئة غريبة عنها تؤصل لهذا، ما الذي تتوقع منهم؟ أنا الآن لو أبدأ أضع قواعد مهمة جدًّا للمهندسين؛ ما الذي سيقال لي أنا؟ هذا المجال ليس لي، سيقال لي: احترم نفسك. أبدأ أضع قواعد للأطباء في تخصصهم، هكذا، حتى الإمام البخاري لو يأتي ويبدأ يضع قواعد للمهندسين، ليس مجاله.

وهكذا أحد أهل البدع من المتكلمين يأتي ليضع قواعد للإمام البخاري في تخصصه ليلزم البخاري بهذه القواعد، هذا ليس مستقيمًا، ليس صحيحًا، وللأسف هذا حصل باسم أصول الفقه، وللأسف هذا نجده في كتب أصول الفقه، وفيها إضعاف للسنة أو نسف لها باسم أنها أخبار الآحاد.

وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

بسم الله الرحمن الرحيم

ذم مبتغي التأويل

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ. اللّٰهم اغفر لنا ولشيخنا وللحاضرين وللمسلمين والمسلمات.

قال الإمام: أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ في كتابه **لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد:**

وما أشكل من ذلك وجب إثباته لفظًا، وترك التعرض لمعناه، ونرد علمه إلى قائله، ونجعل عهدته على ناقله؛ اتباعًا لطريق الراسخين في العلم الذين أثنى الله عليهم في كتابه المبين بقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧].

وقال في ذم مبتغي التأويل لمتشابه تنزيله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧]، فجعل ابتغاء التأويل علامة على الزيغ، وقرنه بابتغاء الفتنة في الذم، ثم حجبهم عما أملوه، وقطع أطماعهم عما قصدوه -بقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧].

قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ في قول النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله ينزل إلىٰ سماء الدنيا**»، وقوله «**إن الله يرىٰ في**

القيامة»، وما أشبه هذه الأحاديث نؤمن بها، ونصدق بها بلا كيف ولا معنى، ولا نرد شيئًا منها، ونعلم أن ما جاء به الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حق، ولا نرد على رسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسه بلا حد ولا غاية، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

ونقول كما قال، ونصفه بما وصف به نفسه، لا نتعدى ذلك، ولا يبلغه وصف الواصفين، نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه، ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شنعت، ولا نتعدى القرآن والحديث، ولا نعلم كيف كنه ذلك إلا بتصديق الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتثبيت القرآن.

التعليق:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ، نحمده ونصلي على رسوله الكريم؛ أَمَّا بَعْدُ: -

يقول الإمام الموفق ابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وكل ما جاء في القرآن أو صح عن المصطفىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ من صفات الرحمن وجب الإيمان به**) هذا سبق التعليق عليه.

(**وتلقيه بالتسليم والقبول، وترك التعرض له بالرد والتأويل والتشبيه والتمثيل**)، هذا الذي لم نعلق عليه، وجب ترك التعرض له بالرد والتأويل والتشبيه والتمثيل.

ذكر هنا أربعة أمور: ترك التعرض له بالرد، في قوله: (**وجب الإيمان به وتلقيه بالتسليم والقبول**) هذا معناه: يجب الاستسلام الكامل لما جاء في الكتاب والسنة، ومعناه أيضًا: لا يُرد، التسليم لا يتحقق بالرد، ولكنه أكده وصرح به قائلًا: (**وترك التعرض له**) يعني: وجب ترك التعرض له، (**بالرد والتأويل والتشبيه والتمثيل**)، وهو هنا يشير إلى طرق من يرد هذه النصوص، فمنهم من يرد هكذا، يقول: حتى ولو صح في الكتاب والسنة، فهذا مردود. لماذا؟ لأنه يخالف كذا وكذا، يرد، وأحيانًا يقول: بما أنه من أخبار الآحاد؛ فهو مردود. لا يتعب في التأويل كما ذكرنا سابقًا، يرد هكذا.

وبعضهم يرده بحجة التأويل، والتأويل هنا معناه التحريف، التأويل يأتي بمعنى التفسير، ويأتي بمعنى ما يؤول إليه أمر الشيء، وسنتحدث عن هذين المعنيين، ويأتي بمعنى صرف اللفظ عن ظاهره إلى غير الظاهر بقرينة ترجح ذلك، هذا هو المراد بالتأويل لما يُذكر في معرض الرد، فهذا التأويل الذي نجده عند المتأخرين، عند المتكلمين وغيرهم، هذا التأويل مرفوض عن السلف عند أهل السنة والجماعة؛ لأنه نوع من أنواع الرد.

والمبتدع لما يقول: هذه الآية أو هذا الحديث لا نأخذ بمدلوله؛ لأنه يؤول بكذا وكذا. مثلًا يقول: اليد مؤولة بالنعمة أو القدرة، معناه: رد المعنى المطلوب، الله عَزَّ وَجَلَّ أثبت لنفسه يدين كريمتين تليق بكماله وجلاله، وهذا يقول: لا، المراد

باليدين: النعمتان أو القدرتان. هكذا يقول، وهذا رد، والرد كما قلنا أحيانًا يكون هكذا: مردود، ولو ثبت، إما أنه من أخبار الآحاد، أو أنه ظني دلالة مردود.

وأحيانًا بالتأويل، وهذا التأويل هو عين التحريف، وأحيانًا يكون الرد بالتشبيه والتمثيل؛ لأن هذا الذي يعتقد أن الله عَزَّ وَجَلَّ أثبت لنفسه يدين كريمتين مشابهتين ليدي المخلوق -هذا لم يثبت الحق، هذا رد المفهوم الصحيح الذي أثبته الله عَزَّ وَجَلَّ لنفسه، رده بالتشبيه والتمثيل؛ لأن المشبه لم يثبت المعنى المطلوب إثباته، المعنى المطلوب إثباته إثبات يدين كريمتين تليقان بالله عَزَّ وَجَلَّ، هذا أثبت يدين تليقان بالمخلوق، إذًا هذا المشبه -كما يقول العلماء- عنده تعطيل، والمعطل عنده تشبيه.

والخلاصة: أن المعنى المطلوب لم يثبته لا هذا ولا هذا، المعطل بصرفه إلى غيره، والمشبه أيضًا بأخذ معنًى لا يليق بالله عَزَّ وَجَلَّ، هل يثبت الله عَزَّ وَجَلَّ لنفسه ما يليق بالمخلوقين؟ لا، إذًا المشبه في الحقيقة رد هذا النص وهذه النصوص كلها، هذه -كما قلت- طرق لرد النصوص يسلكها كثير من المبتدعة.

ثم قال الإمام الموفق رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وما أشكل من ذلك وجب إثباته لفظًا، وترك التعرض لمعناه، ونرد علمه علىٰ قائله، ونجعل عهدته علىٰ ناقله؛ اتباعًا لطريق الراسخين في العلم الذين أثنىٰ الله عليهم في كتابه المبين بقوله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾).

الإمام الموفق هنا يشير إلى أن النصوص الواردة في الكتاب والسنة والتي فيها إثبات لصفات الله عَزَّ وَجَلَّ وأسمائه -تنقسم إلى قسمين:

نصوص واضحة: وهذا الوضوح سنذكر ما الذي يريد به الإمام الموفق، المهم عنده نصوص واضحة، وبالأدق نصوص ليست مشكلة، لا إشكال فيها، لأنه يقول: وما أشكل من ذلك، هذا يدل على أن هناك نصوصًا فيها إشكال، ارجعوا إلى ما قاله سابقًا: (**موصوف بما وصف به نفسه في كتابه العظيم، وعلىٰ لسان نبيه الكريم. وكل ما جاء في القرآن أو صح عن المصطفىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ من صفات الرحمن وجب الإيمان به**)، إذًا الصفات الواردة كلها يجب الإيمان بها أو إثباتها واعتقادها، يشير هنا إلى أن هناك نصوصًا فيها إشكال، وما دام فيها إشكال؛ لا يمكننا أن نثبتها أو نثبت معانيها أو نثبت مدلولاتها، فما الذي يجب عند الإمام الموفق؟ يقول: (**وجب إثباته لفظًا**)، اللفظ نثبته، (**وترك التعرض لمعناه**) المعنى لا نتعرض له، (**ونرد علمه علىٰ قائله**) نقول: الله أعلم، (**ونجعل عهدته علىٰ ناقله**) يقال: ما دام أن هذا فيه إشكال؛ فلماذا نُقل عن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ والذي نقله ثقات، نقول: نجعل العهدة على الناقل، إلا أننا لا نثبته، لماذا؟ لأن هناك إشكالًا.

هذا الموضع من المواضع القليلة التي أُخذت على الإمام الموفق، وما قرره هنا يخالف طريقة أهل السنة والجماعة مخالفة واضحة؛ لأن أهل السنة ما عندهم إشكال

في أي نص من نصوص الصفات والأسماء أبدًا، فلذلك هذا الذي ذكره الإمام الموفق فيه رائحة التفويض، وقد ذهب إليه الإمام الموفق في بعض كتبه صراحةً، ولكنه هنا ليس ذلك التفويض الذي نراه عند المبتدعة، ولكنه نوع من التفويض، التفويض الذي ذهب إليه المتكلمون هو التفويض الذي يتفقون فيه مع المؤولة.

نحن ذكرنا سابقًا أن الخطوة الأولى عند المؤول أن الظاهر لا يليق بالله عَزَّ وَجَلَّ، مثلًا ظاهر الاستواء عند المؤول أن هذا الظاهر لا يليق بالله عَزَّ وَجَلَّ؛ لأن الاستواء فيه افتقار واحتياج، والله عَزَّ وَجَلَّ لا يحتاج إلى غيره، وبالتالي لا نثبت الاستواء، هكذا يقولون، ولذلك قلنا: المؤول يبدأ من التشبيه، يقع في التشبيه أولًا. هذه الخطوة يتفق معه فيها المفوض، المفوض لماذا أشكل عليه هذا النص؟ لأن فيه تشبيهًا، لأن المعنى الذي يتضمنه هذا النص فيه نوع من التشبيه، ففيه إشكال.

الخطوة الأولى: أن النص في ظاهره لا يليق بالله عَزَّ وَجَلَّ.

الخطوة الثانية: أن الظاهر غير مراد، هاتان الخطوتان يتفق فيها المؤول والمفوض.

الخطوة الثالثة: ما دام أن الاستواء لا يليق بالله عَزَّ وَجَلَّ، فما الذي يليق به؟ الاستيلاء، بما أن هناك احتمالًا في اللغة من حيث الإجمال أن الاستواء يأتي لمعانٍ كثيرة منها الاستيلاء؛ فنحمله على الاستيلاء، وسبق مناقشتهم في هذا التأويل.

القصد هنا كيف أن المؤول والمفوض يتفقان في هاتين الخطوتين المهمتين: أن الظاهر لا يليق بالله عَزَّ وَجَلَّ، ثانيًا غير مراد، بما أن الظاهر غير مراد؛ تم التخلص من النص بهاتين الخطوتين.

الخطوة الثالثة -كما يسميها المؤولة- تتعلق بالإحكام والعلم، علوم المبتدعة كثيرة جدا، فمن لديه العلم والإحكام يعطيك حل آخر، ويقول لك: ليس الاستواء، وإنما الاستيلاء، هذه الخطوة يخالف المفوض فيها المؤول، يقول: أنا قلت لك: الظاهر لا يليق بالله عَزَّ وَجَلَّ. واتفقت معك أنه غير مراد، ولكن لا أتفق معك أن المراد بالاستواء هو الاستيلاء.

ولننظر هنا إلى الخلاصة: ألن يتم التخلص من النص بهاتين الخطوتين؟ وبالتالي المفوض والمؤول كلاهما اتفق على أهم نقطتين، ولذلك فالتفويض مع أنه منسوب للسلف، مع ذلك يسلكه المتكلمون، لماذا؟ لأنه يخدمهم، لأن الأهم هنا أن لا تثبت المعنى الذي يتضمنه النص، بعد هذا قول المفوضة: الله أعلم. هذا لا يُشْكل في موقف المؤول، هل هذا الذي يعنيه الإمام الموفق؟ هذه المسألة مهمة جدا، أن تنسب إلى إمام من أئمة المسلمين وإلى علم من أعلامهم أمثال الموفق، أن تنسب إليه التفويض، فلا بد أن تكون دقيقًا.

هناك كما يقول الإمام: وما أشكل من ذلك، نحن نقول: لا إشكال في ذلك، أئمة أهل السنة والذين ليس عندهم أي إشكال في هذا الباب -أمثال شيخ الإسلام

وغيره- يقولون: لا إشكال في شيء من نصوص الصفات، فهل الإمام الموفق يوافق المفوضة؟ لا يوافقهم في الخطوة الثانية التي فيها جزم بأن الظاهر غير مراد، ولكنه يوافقهم في الخطوة الأولى، يوافقهم من حيث جملة، ولذلك جاء الإشكال، لماذا جاء الإشكال؟ لأنه لم يفهم منه ما يليق بالله عَزَّ وَجَلَّ.

فُهم من النص ما يليق بالمخلوقين، وهذا لا يُثبت لله عَزَّ وَجَلَّ اتفاقا، ولكن الخلاف هنا أن هذا الذي فهمته، هل هذا الفهم صحيح؟ أقول: لا، هذا الفهم ليس بصحيح، وهذا النوع من التفويض نجده عند من ينسب نفسه إلى السلف، وخاصة الحنابلة، وهذا الذي أخذ وزره ونشره وتبناه ونسبه إلى الإمام أحمد وعاد فيه وكرر هو ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ، ألف كتابًا مستقلًّا يرد فيه على السلف الذين يثبتون وينسب إلى الإمام أحمد التفويض الذي هو يقول به، ولذلك إلى الآن المتكلمون والمبتدعة لما يقولون: التفويض مذهب السلف، يعنون به أمثال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ وغيره ممن وقع في شيء من التفويض، ونحن نقول: ما أشكل من ذلك هذا ليس واردًا، ليس هناك ما يشكل.

أيضًا يتضح هذا بالنظر إلى مذاهب الناس في الصفات، اختلفت الطوائف في إثبات الصفات إلى طوائف كثيرة؛ منهم: الجهمية، كما ذكرنا لا يثبتون الأسماء والصفات، ومنهم: المعتزلة يثبتون الأسماء ولا يثبتون الصفات، ومنهم الكلابية الذين يثبتون بعض الصفات ولا يثبتون بعض الصفات، ومنهم الكلابية، ومنهم

الأشاعرة والماتريدية، لماذا أثبتوا بعض الصفات؟ لأنها لا تشكل، لماذا نفوا وعطلوا بعض الصفات؟ لأنها من هذا الباب، وما أشكل من ذلك، فيها إشكال.

ولذلك من يثبت بعض الصفات فالتفويض عنده حل للنصوص التي فيها إشكال، النصوص التي فيها إشكال يرميها في سلة التفويض، والتي ما عنده فيها إشكال يثبتها، والكلابية عمومًا أوائلهم يثبتون الصفات الذاتية، ويثبتون الصفات الخبرية، المتأخرون منهم الأشاعرة والماتريدية يعطلون الصفات الخبرية، ويعطلون أيضًا الصفات الفعلية، يعطلونها جملة، إذًا ما يعطلونه فيه إشكال، لا يُفهم منه إلا ما يليق بالمخلوق، فلذلك يعطلونه ويتعاملون معه إما بالتأويل وإما بالتفويض.

والإمام الموفق هل هو مفوض؟ طبعا ليس مفوض كما قلنا لأنه أثبت، بدأ هذا الكلام بالإثبات. يقول: (**موصوف بما وصف به نفسه في كتابه العظيم، وعلىٰ لسان نبيه الكريم، وكل ما جاء في القرآن أو صح عن المصطفىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ من صفات الرحمن وجب الإيمان به**)، هنا فارق المفوضة، ولكن كما قلنا: عنده إشكال في بعض النصوص يعاملها على أنها متشابهة، ولا يثبت ما تدل عليه من المعاني، وهذا الموضع من المواضع المعروفة التي أُخذت عن الإمام الموفق، فكلامه ليس سليمًا كما شرح الشراح، منهم: الشيخ الفوزان، يقول: هذه الجملة غير مسلَّمة من الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ. هذا كلام الشيخ الفوزان، كأنه يقسم نصوص الصفات إلى قسمين:

قسم يظهر لنا معناه وتفسيره، وهذا نؤمن به ونؤمن بمعناه وتفسيره.

والقسم الثاني لا يظهر لنا معناه، فهذا نفوضه إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذا خطأ، لأن جميع نصوص الأسماء والصفات كلها معلومة المعنى، ليس فيها شيء مشتبه أو من المتشابه.

يقول الموفق رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وترك التعرض لمعناه**) هذا خطأ، حتى لما لم نفهم المعنى، إذا قرأت نصًّا من النصوص ولم تفهم معناه ماذا تفعل؟ هل تقول: أنا لا أتعرض لمعناه، وأؤمن باللفظ فقط، أو تقول: أؤمن بالمعنى على مراد الله عَزَّ وَجَلَّ؟ تؤمن بالمعنى على مراد الله عَزَّ وَجَلَّ، وعلى مراد رسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما سيأتي في كلام الإمام الشافعي، فهذا لا يصح، حتى إذا لم تفهمه، ترك التعرض لمعناه، نحن نثبت ونؤمن بلفظه، ونؤمن بمعناه، وإذا لم نفهم المعنى نقول: نؤمن به على ما يريد منه الله عَزَّ وَجَلَّ ورسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(**اتباعًا لطريق الراسخين في العلم الذين أثنىٰ الله عليهم في كتابه المبين بقوله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾) الرسوخ في العلم هو التمكن فيه، الراسخون في العلم أي: المتمكنون في العلم﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧]، هذا منهجهم، هناك محكم وهناك متشابه، القرآن بعضه محكم وبعضه متشابه، المحكم

معناه أنه واضح في معناه، لا يحتاج إلى نص آخر في توضيحه، والمتشابه معناه ليس واضحًا بمفرده، إنما يتضح بنصوص أخرى.

إذًا هناك محكم وهناك متشابه، فالمحكم يؤمنون به، والمتشابه الذين يريدون الفتنة يتبعون المتشابه، يجعلونه هو الأصل، ولذلك تجدهم في جميع المجالات لا يأتي إلا إلى الدليل الذي يكون خارجًا عن الأصل، خارجًا ولو على فهمه هو، يجعله هو الأصل، أما الراسخون في العلم فهم يتبعون المحكم، المتشابه يفهمونه على ضوء المحكم.

﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ما دام أنه كله من الله عَزَّ وَجَلَّ، فبعضه يفسر بعضًا، هنا يشير على أن القرآن ورد إثباته أنه كله محكم، كما يقول الله عَزَّ وَجَلَّ:﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ [هود:١] إذًا كلهم محكم، وهذا بمعنى الإتقان والوضوح، كله محكم، وورد أيضًا أنه كله متشابه، ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ﴾ [الزمر: ٢٣] كله متشابه، أي: بعضه يشبه بعضًا؛ في المعاني، وفي المضامين، وفي الإتقان وفي الطريقة، بعضه يشبه بعضًا، ذكر قصة هنا وذكر قصة هناك، ذكر معنًى هنا معنًى هناك، وكله بعضه يؤيد بعضًا.

هذا الذي يذكر العلماء أنه الإتقان العام والتشابه العام، وهناك إحكام نسبي وتشابه نسبي، وهذا الذي ورد في هذه الآية: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾

هن الأصل، وإليها تُرجع الآيات المتشابهة ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾، إذًا بعضه محكم واضح لا يحتاج إلى نص آخر في توضيحه، وبعضه متشابه لا يتضح إلا بنص آخر.

(﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾) قبله:

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ هذا موقفهم، يتبعون ما تشابه منه، يجعلونه هو الأصل، لماذا؟ لأنهم يبتغون الفتنة، هذا قصدهم، ليس قصدهم الإصلاح والصلاح، إنما يبتغون الفتنة، ويبتغون أيضًا تأويله، ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ﴾، هذا الذي ذكره الإمام الموفق، هذا من أدلة المفوضة، ومن أدلة المؤولة أيضًا، كلهم يستدلون بهذه الآية، وكل يستدل بها حسب هواه، والاستدلال الصحيح لا يتم إلا لأهل السنة، وهذا يُعرف بمعرفة معاني التأوي.

هناك قراءة: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِ إِلَّا اللَّهُ وَ﴾ هذه قراءة متواترة، الوقف على لفظ الجلالة، وقراءة أخرى أيضًا متواترة: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ الوقف عند كلمة العلم، ومعنى التأويل يختلف باختلاف الوقف، إذا وقفت عند لفظ الجلالة عند قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ مثل ما ذكر واستشهد بها الإمام الموفق هنا؛ فمعنى التأويل هنا: ما يؤول إليه الأمر.

النصوص في الكتاب والسنة كما تعرفون تنقسم إلى قسمين: نصوص فيها إخبار، ونصوص فيها أمر وتكليف، فتأويل التكاليف والمأمورات وقوعها امتثالها،

ولذلك قالت عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا في قول النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سُبْحَانَ اللهِ» في الركوع والسجود، قالت: "**يؤول القرآن**"، أي: يفسره، يمثله، ويقول: «ما يعلم تأويله إلا الله».

أيضًا ما يتعلق بالأسماء والصفات كيفياتها، هل نعلمها؟ لا نعلمها، ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ هذا على قراءة الوقف، أما على قراءة الوصل: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ فمعنى التأويل التفسير، وهذا معروف في اللغة، المفسرون يقولون: تأويل قوله تَعَالَىٰ كذا وكذا، وتأويله كيت وكيت، يريدون بالتأويل التفسير، وهذان المعنيان معنيان صحيحان، على قراءة الوصل معنى التأويل هو التفسير، على قراءة الوقف معنى التأويل هو ما يؤول إليه حقيقة الشيء، أو ما يؤول إليه الأمر، وهذان المعنيان صحيحان.

استدلال المفوضة والمؤولة: يقولون: على قراءة الوصل ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ وَالرَّاسِخُونَ﴾ بما أنهم يعلمون فيؤولون، الراسخون في العلم وهم المريسي والجعد والجهم والجويني والغزالي، هؤلاء هم الراسخون في العلم، فلذلك ألف أبو حامد الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ ألف كتابًا أسماه (إلجام العوام عن علم الكلام)، علم الكلام الذي فيه التأويل هذا يُلجم عنه العوام، من هم العوام؟ العوام عندهم فيهم المحدثون وفيهم المفسرون، هؤلاء كلهم عنده من فئة العوام، والراسخون في العلم

هم الذين تتلمذوا على الفلاسفة، علموا كيف يكون التشبيه، هؤلاء يجوز لهم التأويل، أما العوام فعليهم التفويض.

إذًا على قراءة الوصل التأويل، وعلى قراءة الوقف التفويض، وهذا الذي استدل له الإمام الموفق هنا، وكما قلنا بداية الفقرة: هذا النوع من الاستدلال لا يُسلَّم له رَحِمَهُ اللَّهُ؛ لأن هذا من أدلة المفوضة على هذا النحو.

ثم قال: (**وقال في ذم مبتغي التأويل لمتشابه تنزيله**) **الله** عَزَّ وَجَلَّ ذم من يبتغي التأويل ويحاول أن يؤول المتشابه من القرآن، ذمه وقال: (﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾) هذا منهجهم، دائمًا النص الذي لا يتضح معناه إلا مضمومًا إلى غيره مقرونًا إلى غيره يجعلونه هو الأصل، لماذا؟ ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ لأنهم يريدون الفتنة، يريدون الخسارة، والفتنة أيضًا معناها الشبهة، مثل قول الخوارج مثلًا، الله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾ [الجن:٢٣]، ما الذي يُفهم من هذه الآية: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾؟ من وقع منه المعصية فإنه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها، هذا النص إذا لم يُفهم على ضوء النصوص الأخرى؛ هذا فيه تقرير لما يذهب إليه هذا الخارجي، ولكن يجب أن تُفهم النصوص، ويجب أن تُجمع كل النصوص الواردة في الموضوع حتى تفهم الموضوع كامله، هكذا، يقول: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ﴿٢٣﴾﴾، ونسي قوله ﴿إِنَّ

اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء:٤٨]، هذا يلغيه تمامًا، ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء:٣١]، هذه النصوص يلغيها، هؤلاء أصحاب الوعيد.

على الطرف الآخر منهم أصحاب الوعد، عندهم نصوص الوعد هي الأصل، ونصوص الوعيد يلغونها، ومنهج أهل السنة الذي عصمهم في مثل هذه المواطن وفي جميع المواطن: هو جمع النصوص وفهمها، فهم بعضها على ضوء بعضها، وهكذا هؤلاء الذين يقعون في البدعة والمبتدعة عمومًا منهجهم اتباع المتشابه.

(**فجعل ابتغاء التأويل علامة علىٰ الزيغ**)، ابتغاء التأويل جعله علامة على الزيغ، على التفسير الذي ذكرته معزوًّا إلى أهل السنة، التأويل الذي هو علامة على الزيغ أن تحاول معرفة كيفيات أسماء الله وصفاته، وتحاول أيضًا معرفة حقائق المغيبات التي لا يعلمها إلا الله عَزَّ وَجَلَّ، أما على ضوء ما ينحى إليه الإمام الموفق، فكما قلت: لا يستقيم له هذا التأصيل رَحِمَهُ اللَّهُ.

(**وقرنه بابتغاء الفتنة في الذم، ثم حجبهم عما أملوه**) لأنهم يبتغون التأويل، والتأويل هذا الذي يبتغونه هذا لا يعلمه إلا الله عَزَّ وَجَلَّ، (**وقطع أطماعهم عما قصدوه، بقوله تَعَالَىٰ**: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾)، هذا بمعنى ما يؤُول إليه حقيقة الشيء، مآل الشيء، هذا بهذا المعنى، على كل حال، كلام الإمام الموفق في هذا الباب كما قلنا فيه ما فيه والصحيح أن النصوص لا إشكال فيها أبدًا.

(**قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل** رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى) الإمام أحمد إمام أهل السنة على الإطلاق، هذا اللقب -سُبْحَانَ اللَّهِ!- لُقب به هذا الإمام، إمام أهل السنة إذا قيل هكذا على الإطلاق فيُقصد منه الإمام أحمد، لماذا؟ لأن الموقف الذي وقفه في تلك المحنة موقف شُبه هو في ذلك بأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم الردة.

الأمة كانت تُكره على التعطيل، وقضية خلق القرآن هذه مسألة فرعية، بمعنى أنها مسألة تابعة لمسألة هي الأصل، وهي التعطيل، المعتزلة يرون أن الله عَزَّ وَجَلَّ لا يتصف بأي صفة، وبالتالي لا يتصف بصفة الكلام، فيقال لهم: هذا القرآن أليس من كلامه؟ يقولون: لا، ليس من كلامه؛ لأنه مخلوق من المخلوقات، وبالتالي الأصل الذي نذكره أنه لا يتصف بأي صفة لا ينتقض بوجود هذا القرآن؛ لأنه مخلوق من المخلوقات.

والنسبة هنا كلام الله، يقولون: هذه النسبة مثل النسبة في بيت الله، الذي يُنسب إلى الله عَزَّ وَجَلَّ ينقسم إلى قسمين:

إذا كان عينًا: فالنسبة إليه تكون نسبة مخلوق إلى خالقه، وهذه النسبة تكون للتشريف.

أما إذا كان صفة لا تقوم بنفسها: فالنسبة هنا تكون نسبة الاتصاف، وهكذا هنا، هذا كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، أي: صفة من صفاته.

كثير من الأئمة بعضهم اختفوا، وبعضهم تأولوا، الذي وقف في وجه هذه المحنة على مدى عصر. ثلاثة من الخلفاء هو الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ، ولد سنة ١٦٤هـ وتوفي سنة ٢٤١هـ واشتهر بنسبته إلى جده حنبل لأن حنبلًا جده هذا هو الذي رباه، أما والده فقد توفي وهو صغير، أحمد بن محمد بن حنبل، فكثيرا ما يقال أحمد بن حنبل، هذا جده الذي رباه.

(**قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل** رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ **في قول النبي** صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله ينزل إلىٰ سماء الدنيا**»، **وقوله**: «**إن الله يرىٰ في القيامة**»، **وما أشبه هذه الأحاديث نؤمن بها، ونصدق بها**).

هذه النصوص التي بدأ يذكرها الإمام الموفق، هذا بعد الأصل الذي ذكره، لا ننسي الأصل الذي قرره وهذا هو المقصود، أما ما ذكره في: (**وما أشكل من ذلك**) هذه قضية تم التوضيح فيها، ولكن الأصل لا ننساه، أن كل ما ورد في الكتاب والسنة من أسمائه وصفاته يجب الإيمان بها، ويجب وصف الله عَزَّ وَجَلَّ بها، هذا الذي أصَّله الإمام الموفق.

بدأ يذكر هنا نصوصًا للأئمة، نصوص لبعض الصحابة، نصوص لبعض الأئمة تقرر ذلك الأصل، ولذلك ننتبه في هذه النصوص، بعضهم يفهمها عكس ما سِيقت له، ينتزعها هكذا، ينتزع هذا النص من سياقه وسباقه ويقطعه ويبتره؛ حتى يكيفه كما يريد، النصوص لا بد أن تُفهم بالنظر إلى ما سيقت له.

يقول الإمام أحمد: (**نؤمن بها ونصدق بها**)، كيف تؤمن بها؟ وكيف تصدق بها؟ بإثبات لفظها ومعناها، تؤمن بلفظها وتؤمن بمعناها، أما هذا الذي يَرُدُّ لفظها، أو يثبت لفظها ولكن يرد المعنى، فلن يؤمن بها؛ لأن الإيمان بها والتصديق بها لا يتحقق إلا بإثبات لفظها، وبإثبات المعنى المطلوب منها، والمعاني التي تشتمل عليها هذه النصوص هي الكمالات المطلقة التي يستحقها الله عَزَّ وَجَلَّ، الله عَزَّ وَجَلَّ لا يثبت لنفسه شيئًا لا يليق به أبدًا.

إذًا (**نؤمن بها ونصدق بها**) معناه: نثبت لفظها، ونثبت المعاني التي تتضمنها وتشتمل عليها هذه الألفاظ، ما بعدها قد لا يكون واضحًا.

يقول: (**بلا كيف، ولا معنىٰ**)، هذا اللفظ من أشهر أدلة المفوضة، أدلة المفوضة:

الدليل الأول: الآية التي ذكرناها، آية آل عمران.

من أدلتهم أيضًا: نصوص وردت من الأئمة مقطوعة عن سياقاتها، هذا النص مثلًا يذكرونه هكذا، قال الإمام أحمد على هذه النصوص أنه لا كيف ولا معنى، نسيت الجزء الأول؟ نؤمن بها ونصدق بها، أين ذهبت بها؟ نؤمن بها ونصدق بها.

أولا: هذا النص بخصوصه الذي يستدل به المبتدعة كثيرًا، هذا النص ورد عن طريق حنبل عن الإمام أحمد، وحنبل روى عن الإمام أحمد أمورًا لا يثبتها حذاق أصحابه، أصحاب الإمام أحمد، حنبل روى عنه تأويل المجيء، وأن الإمام

أحمد أوله بمجيء أمره، وهو ممن لا تُقبل تفرداته، حنبل، وأمثال الأئمة الخلال وغيره يتوقفون في تفرداته، أولًا هذه الرواية حتى لا تتحول إلى أصل عند الإمام أحمد هذه الرواية فيها ما فيها من حيث الثبوت.

ثانيًا: هذا الإيمان الذي ذكره الإمام أحمد بقوله: (**نؤمن بها ونصدق بها**) لا يتحقق إلا بالإيمان باللفظ والمعنى، (**بلا كيف، ولا معنىٰ**)، على ضوء هذه المواقف وموقف الإمام أحمد وعقيدته، كيف تفهمها؟ واضح النص، إذا نظرنا إليه على ضوء هذه المعطيات، (**لا كيف**) فيه رد على المشبهة؛ لأن أهل السنة دائمًا لما يثبتون يردون على المشبهة؛ لأن المشبهة كما سبق يفهمونها على ما تليق بالمخلوقين.

فيقول لهم الإمام أحمد: (**لا كيف**) الكيف لا نعلمه ولكن نحن نثبت المعنى، وأثبتناه عندما قلنا: نؤمن بها ونصدق بها، ولكن ليس معناه.. ليس معنى إيماننا بها وليس معنى تصديقنا بها أننا نؤمن بها ونفهمها كما يفهمها المشبهة، رد عليهم.

(**ولا معنىٰ**) هذا رد على المعطلة، المعاني التي يأتي بها المعطلة: اليدان المراد بهما النعمتان، النزول معناه نزول أمره، الاستواء معناه الاستيلاء، هذه المعاني معاني باطلة، ولا يتم الإيمان بهذه النصوص إلا برد هذه المعاني، وهذه هي المعاني التي يرفضها الإمام أحمد وغيره.

وهناك نصوص أخرى توضح هذا الذي قلته، المراد بقوله: (**لا كيف**) رد على المشبهة، والمراد بقوله: (**لا معنىٰ**) رد على المعطلة، هناك نصوص الإمام أبي عبيد

القاسم بن سلام، وهناك نص جميل جدًّا ذكره الإمام الترمذي، ونصوص أخرى للأئمة توضح هذا، ولكن المفوضة كما قلنا يأخذون هذا مقطوعًا عن سياقاته، ويستدلون به على التفويض الذي هم عليه.

هنا قاعدة مهمة جدًّا لا بد أن نشير إليها، وأشار إليها الشيخ العلامة الشيخ صالح آل الشيخ، أنت لما تقرأ أقوال الأئمة لا بد أن يسبق ذلك فهم جيد لعقيدة أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة: **لا بد أن تفهم اعتقادهم أولًا جيدًا، فمثلًا موقفهم في إثبات النصوص، وموقفهم من المفوضة، وموقفهم من المؤولة، هذه المواقف وهذه الأمور لا بد أن تضبطها.**

بعد ضبطك لهذه الأمور إذا جاءتك نصوص يستدل بها على غير منهج أهل السنة، تستطيع أن ترد عليهم، وتستطيع أن تفهمها جيدًا، وإلا هؤلاء كما رأينا استدلوا على أمور باطلة بالآيات وبالأحاديث، ألا يمكنهم أن يستدلوا بأقوال الأئمة على باطلهم؟ يمكنهم، ولذلك لا بد أن تكون ضابطًا لمنهج أهل السنة وعقيدتهم قبل تقرأ مثل هذه النصوص حتى تفهمها جيدًا.

نكتفي بهذا القدر.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

بسم الله الرحمن الرحيم

مسألة النزول والرؤية يوم القيامة

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ. اللّٰهم اغفر لنا ولشيخنا وللحاضرين من المسلمين والمسلمات.

قال الإمام: أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ في كتابه **لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد:**

قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ في قول النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله ينزل إلىٰ سماء الدنيا**»، وقوله: «**إن الله يرىٰ في القيامة**»، وما أشبه هذه الأحاديث: نؤمن بها، ونصدق بها بلا كيف ولا معنى، ولا نرد شيئًا منها، ونعلم أن ما جاء به الرسول حق، ولا نرد على رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسه بلا حد ولا غاية، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ ونقول كما قال، ونصفه بما وصف به نفسه، لا نتعدى ذلك، ولا يبلغه وصف الواصفين، نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه، ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شنعت، ولا نتعدى القرآن والحديث، ولا نعلم كيف كنه ذلك إلا بتصديق الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتثبيت القرآن.

قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: آمنت بالله وبما جاء عن الله، على مراد الله، وآمنت برسول الله، وبما جاء عن رسول الله، على مراد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلى هذا درج السلف وأئمة الخلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، كلهم متفقون على الإقرار والإمرار والإثبات لما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غير تعرض لتأويله.

وقد أمرنا بالاقتفاء لآثارهم، والاهتداء بمنارهم، وحذرنا المحدثات، وأخبرنا أنها من الضلالات، فقال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**».

وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم. وقال عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كلامًا معناه: قف حيث وقف القوم، فإنهم عن علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا، ولهم على كشفها كانوا أقوى، وبالفضل لو كان فيها أحرى، فلئن قلتم: حدث بعدهم، فما أحدثه إلا من خالف هديهم ورغب عن سنتهم، ولقد وصفوا منه ما يشفي، وتكلموا منه بما يكفي، فما فوقهم محسر، وما دونهم مقصر. لقد قصر عنهم قوم فجفوا، وتجاوزهم آخرون فغلوا، وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدى مستقيم.

التعليق:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، نحمده ونستعينه، ونصلي على رسوله الكريم؛ أَمَّا بَعْدُ: -

هذه الآثار التي ذكرها الإمام الموفق رَحِمَهُ اللَّهُ كلها في تعظيم آثار النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي تعظيم كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، وفي تعظيم منهج الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ومن تبعهم بإحسان؛ بالتقيد الكتاب والسنة في هذا الباب، والآثار التي ذكرها الإمام الموفق رَحِمَهُ اللَّهُ آثار عظيمة جدًّا، ولقد أحسن جدًّا في إيرادها وترتيبها واختيارها قبل أن يبدأ بذكر الصفات التي سيذكرها، كل هذه الآثار وحشدها والإكثار منها يدل:

أولًا: على ما عليه أهل السنة والجماعة تعظيمًا لهذه الآثار.

وثانيًا: ما كان عليه هم في ذلك الوقت من التحرج في التعنيف في هذا الباب، إذا أراد أحدهم أن يذكر عقيدة أهل السنة والجماعة، فلا بد أن يحشد لذلك هذه الآثار الكثيرة حتى يبرر لما سيقوله، وحتى يدفع عن نفسه الشناعة، ويقول لهم: ما فعلته لم أتجاوز فيه الكتاب والسنة، ولم أتجاوز فيه الآثار عن الصحابة، فكأنه رَحِمَهُ اللَّهُ في ظل تقريره لمنهج أهل السنة في ضمن ذلك يعتذر أيضًا عن نفسه.

وكما قلت: هذا يدل على ما آلت إليه الأمور في ذلك الوقت، وإلا أثر واحد من هذه الآثار يكفي لتأصيل منهج أهل السنة هذا الباب، إلا أننا نرى أن ابن قدامة

رَحِمَهُ اللَّهُ أكثر في هذا الباب في ذكر الآثار التي ترسخ وتؤصل وتقرر هذا المنهج، وعذره في ذلك كما قلت ما كانت الأمور في ذلك الوقت من الشناعة على أهل السنة والجماعة، واتهامهم بأنهم مجسمة، وبأنهم مشبهة، إلى غير ذلك مما سيشير إليه أيضًا الإمام الموفق في كلامه هنا.

كلام الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ كنا علقنا على بعضه، وبقي التعليق على بعضه، من ذلك قوله: (**نؤمن بها ونصدق بها بلا كيف ولا معنىٰ، ولا نرد شيئًا منها**)، لا نرد شيئًا منها، هذا هو الأصل الذي يحوم حوله الإمام الموفق، كل ما وجدناه في الكتاب والسنة نؤمن به، وليس لنا أن نرد شيئًا من ذلك كما هو منهج أهل البدع، يأخذون من النصوص ما توافق أصولهم، ويطرحون منها ما لا توافق أصولهم، نحن لا نرد شيئًا منها.

ونعلم أن ما جاء به الرسول حق، لأنه أعلم خلق الله بربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وكلامه وما يأتي به في سنته الصحيحة وحي، ولن يكون إلا حقًّا، ولا تتردد بالأخذ به، ولا تعتقد أن في بعض ما جاء به تضليلًا وتلبيسًا، والظاهر غير مراد، وأنه أراد بالتعقيد في هذا الباب إرشاد الناس إلى الأدلة العقلية، إلى غيرها من الخرافات التي نجدها عند المتكلمين، لا، ما جاء به النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حق واضح لفظًا ومعنى، وليس المراد به ما وراء ذلك الظاهر الذي يستنبطه المتأخرون مما يسمونه تأويلًا، وهو التحريف.

ولا نرد على رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما يفعله أيضًا أهل الضلال والمبتدعة، إذا رددت على النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فما الذي يحصل؟ ما بقيت في إطار أهل الحق وفي طار أهل السنة والجماعة، خرجت عن هذا المنهج، وهذا قد يؤدي إلى الكفر والعياذ بالله، الرد على رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إلا أن كثيرًا من هؤلاء قد يُعذر بجهله وبتأويله.

ثم قال: (**ولا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسه**)، هذه المسألة أعادها مرارًا الإمام الموفق، وهي مسألة التوقيف في هذا الباب، وأن الأسماء والصفات أسماء الله عَزَّ وَجَلَّ وصفاته لا تؤخذ إلا من الدليل، وهذا الذي عبرنا عنه بأن هذا الباب توقيفي، وحيثما أوقفك الشارع تقف هناك، الدليل الذي في الكتاب والسنة هو الذي يحدد الموقف هنا، ولا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسه، نقف حيث نجد النصوص، وإذا كانت هناك صفات وأسماء معانيها صحيحة، وهي قد تكون مهمة أيضًا عند بعض الناس، مع ذلك لا نصف الله عَزَّ وَجَلَّ بها، ولا نسميه بشيء منها، لماذا؟ كما قلنا: هذا الباب توقيفي، أما باب الإخبار ففيه شيء من التوسع، يجوز أن تخبر عن الله عَزَّ وَجَلَّ بما يصح من المعاني، أما أن تثبت صفة أو تثب اسمًا له فلا يجوز إلا بدليل واضح صحيح صريح من الكتاب والسنة.

ثم قال: (**بلا حد ولا غاية**) أي: نثبت صفاته ولكن لا نحدها ونحدد غاية لها؛ لأن تحديد الحد لها هذا تكييف، وتحديد الغاية لها هذا أيضًا تحديد لصفات الله عَزَّ

وَجَلَّ، صفات الله عَزَّ وَجَلَّ من عظمتها ليس لها غاية، فعلم الله عَزَّ وَجَلَّ مثلًا وسمعه وبصره ليس لها غاية تنتهي إليها ما نعرف عنها، كلما تخيلت حدًّا فهي أكثر من ذلك، فلا تحد لها حدًّا حتى لا تكون مكيفًا، ولا تحدد لها غاية؛ لأن صفات الله عَزَّ وَجَلَّ لا غاية لها، علم المخلوق له غاية، سمعه وبصره وغيره له غاية، أما صفات الله عَزَّ وَجَلَّ فليس لها غاية، هذا هو الذي يريده الإمام الموفق هنا.

وهذه الألفاظ -الحد والغاية- اختلف السلف في استعمالها، فمنهم من امتنع عن استعمالها، وهذه الألفاظ من الألفاظ المجملة، وذكرنا عنها مرارًا أن موقف السلف من الألفاظ المجملة: التوقف في اللفظ، والاستفصال في المعنى، ولكنهم أحيانًا يستعملونها إذا كانت تشرح معنًى واردًا في الكتاب والسنة، كما سبق في قوله: بذاته، وفي وقوله: بائن، فبعض هذه الألفاظ يستعملونها لشرح النصوص، للتوضيح، ليس من باب الوصف، فهم لا يصفون الله عَزَّ وَجَلَّ بالحد، ولا يصفونه بالغاية؛ لأن هذه كما قلنا تخالف المنهج، وهو هنا يقرر قبلها بسطر: (**ولا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسه**)، فهل تظن أنه بعد ذلك نسي ووصفه بالحد والغاية؟ لا، هذه ليست صفات، هذا شرح للمعاني الثابتة لهذه النصوص، مع ذلك فالأحوط من هذا ألا تستعمل مثل هذه الألفاظ؛ لأنها قد تُستغل من قبل أهل البدع لترويج أو لتسويق بعض الباطل الذي يريدون أن يروجوه.

فمذهب أهل السنة هنا كما قلت اختلفوا في استعمال هذه الألفاظ، بعضهم قالوا: نثبت لله عَزَّ وَجَلَّ حدًّا. مثلًا سئل أحد الأئمة: الاستواء هل تثبته بحد؟ قال: نعم أثبته بحد، ومعنى إثبات الحد عنده بيان المباينة بينه وبين المخلوقات، يريد أن يرد على الاتحادية والحلولية الذين يرون أن من عظمة صفات الله عَزَّ وَجَلَّ أنه ليس لها حد، أي: حتى لا يمكن أن تُبين أنه يباين المخلوقات، وهكذا يقولون، فردًّا عليهم يقول الأئمة: نعم نحن نثبت لله حدًّا، أي: الله عَزَّ وَجَلَّ متمايز بأسمائه وصفاته ومباين لخلقه.

وبعضهم نفى بلا حد ولا غاية كما رأينا عند ابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ، بمعنى أن عظمة الله عَزَّ وَجَلَّ لا حد لها، وهو العظيم الذي لا نعرف حدود أسمائه وصفاته، ومع ذلك عدم استعمال مثل هذه الألفاظ أولى، ومنهج أهل السنة هذا في باب الألفاظ المجملة أنهم يتوقفون في اللفظ، ويستفصلون في المعنى، من يطلق هذه الألفاظ يقولون له: ما مرادك بهذا اللفظ أو ذاك اللفظ؟ فإذا كان المعنى صحيحًا؛ يقرونه على المعنى، ولكنهم يتوقفون في اللفظ، وإذا كان المعنى باطلًا؛ يردون عليه لفظه ومعناه، والمعنى الذي لأجله استعمل ابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ نعيد ونكرر أن هذا المعنى صحيح، ومن أثبت الحد أيضًا بالمعنى الذي ذكرته؛ فمراده صحيح، مع ذلك كله فالتقيد بمنهج أهل السنة قد يكون هو الأدق وهو الأصح.

ثم قال: (﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾)، سبق أن ذكر هذه الآية الإمام الموفق، وهذه الآية -كما قلنا- تمثل قاعدة مهمة في باب الأسماء والصفات، وأن هذا الباب فيه نفي وإثبات، إثبات كل ما أثبته الله عَزَّ وَجَلَّ لنفسه؛ من ذلك: السميع البصير، نثبت هذه الأسماء، ونثبت ما تتضمنها من المعاني والكمالات، وفي إثباتنا ننفي المماثلة، وأن أسماء الله وصفاته ليست مماثلة لصفات وأسماء المخلوقين.

(**ونقول كما قَالَ**) هذا كله تأكيد للتوقيف، (**ونصفه بما وصف به نفسه، لا نتعدىٰ ذلك، ولا يبلغه وصف الواصفين**)، كل من أراد أن يصف شيئًا يصفه بعد ما يحيط به علمه، الله عَزَّ وَجَلَّ لا يحيطون به علما، فكيف تبلغه أوصاف الواصفين؟ لا يمكن، ولذلك نتقيد بما جاء في الكتاب والسنة، وفي الحديث المعروف: «**أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك**»، حتى الأسماء التي نجدها في الكتاب والسنة ليست هذه كلها أسماء الله عَزَّ وَجَلَّ، فنحن نتقيد بما جاء في الكتاب والسنة؛ لأننا إذا حاولنا أن نصفه من عندنا فلا بد أن يسبق ذلك أن نحيط به علمًا، وكما قلنا الله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه:١١٠].

ثم قال: (**نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه**) هذا كله يأتي في هذا الإطار، إطار الإيمان بكل ما في الكتاب والسنة، (**نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه**)، وهذه هي طريقة الراسخين في العلم، يؤمنون بالمحكم والمتشابه، ويفسرون المتشابه بالمحكم، ويردون المتشابه إلى المحكم، وذكرنا أن المحكم ما كان واضحًا في معناه لا يحتاج إلى نصوص أخرى للتوضيح، والمتشابه ما احتاج إلى نصوص أخرى في التوضيح.

وطريقة الراسخين في العلم: أنهم يؤمنون بهذا كله، ويجعلون المحكم هو الأصل، ويردون إليه المتشابه، ويفسرون المتشابه بالمحكم.

وطريقة أهل البدع: أنهم يضربون القرآن بعضه ببعض، ويتكلفون فيه إظهار التعارض بين النصوص. ليبينوا وليقولوا: هذه النصوص المتعارضة ليس الحل فيها، الحل فيما سيقوله هو، ليكون هو المرجع، وليكون كلام الله عَزَّ وَجَلَّ مضروبًا بعضه ببعض؛ حتى يقول للناس أن القرآن ما وجدنا فيه الحل. إذًا الحل عند من؟ عند الجهم بن صفوان، عند المريسي؛ لأن كلامهم لا يتعارض، وكلامهم صحيح كله وكلامهم واضح كله، أما كلام الله عَزَّ وَجَلَّ ففيه هذا التناقض وهذا التضارب وهذا التضاد الذي لأجله يرد، والله المستعان!

هذا منهج أهل العلم، يفسرون النصوص بعضها ببعض، أما أهل البدع حتى ولو تمسكوا بشيء من النصوص يفسرونها بأهوائهم، ويقطعونها من سياقها وسباقها؛ ليحلو لهم وليجوز لهم وليتمكنوا من التفسير كما شاءوا.

(**ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شُنعت**) هنا يكاد الإمام الموفق أن يظهر ما يشعر به من الاشمئزاز من موقف المخالفين، وكأنه يقول أنه يتوقع من المخالفين أنهم سيشنعون عليه، وهذا هو الواقع، فالإمام الموفق عند المخالفين يجسد ويشبه، هو وغيره من أهل السنة، فيقول: (**ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شُنعت**) ما هي هذه الشناعات؟ الشناعات معروفة، من يثبت علو الله عَزَّ وَجَلَّ مثلًا فهذا مجسم، ومن يثبت الصفات الخبرية لله عَزَّ وَجَلَّ -اليدين والوجه وغيرها- فهذا مجسم مشبه، وهو أيضًا نصي من النصيين، هذا عيب في أهل السنة أنهم نصيون، هكذا يتهمونهم أنهم نصيون لا يهتمون بالعقول، وهذا والله شرف أن نكون نصيين، وأن نكون متقيدين بما جاء في الكتاب والسنة، ولكنهم يذكرون هذا في معرض الذم والقدح، ينبذون به أهل السنة، يقولون: هؤلاء نصيون.

إذًا الشناعات كثيرة، لو أردنا أن نذكر الشناعات في كل باب لطال بنا المقام، من الإيمان إلى باب الصحابة، في كل باب هناك شناعة جاهزة موجهة إلى أهل السنة والجماعة، من الذين يشنعون؟ الذين هم أولى بكل تشنيع، أولى بكل شناعة؛ لأنهم هم الذين يخرجون على الأدلة، ولكن المبطل عمومًا صاحب الباطل عمومًا عنده

قناعات، وهذه القناعات لا بد أن تكون فعالة عندهم، يشنع صاحب الحق، يشنع عليه، يشوه صورته، هذا جزء من ترويج باطله، لماذا؟ إذا بقيت صورة صاحب الحق لامعة واضحة؛ فالناس سيذهبون إليه، سيتركون هذا المبطل، ولذلك دائمًا يركز على هذا، أن فلانًا الذي عنده الحق فيه كذا وفيه كذا؛ حتى يصرف وجوه الناس عنه، وحتى يضمن بقاء الناس في باطله، في حدود باطله، وهذه الشناعات كما قلت كثيرة جدًّا.

(**ولا نتعدىٰ القرآن والحديث**) هنا أيضًا يعيد نفس الفكرة، أن السماء والصفات توقيفية، (**ولا نعلم كيف كنه ذلك**) أي: كيف كيفيات ذلك، لا نعلمها (**إلا بتصديق الرسول وتثبيت القرآن**)، ليس لنا إلا أن نصدق الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونؤمن بما جاء في القرآن، لأن جهلك بالكيفية ليس مانعًا من الإيمان بالمعاني التي هي واضحة للنصوص.

نحن قلنا: بالنسبة للكيفيات لا نعلم عنها، الإمام محمد بن إدريس الشافعي هو شيخ الإمام أحمد، وكلام الإمام أحمد على أهميته وعلى وضوحه استغله المفوضة كما ذكرنا، لما قال: لا كيف ولا معنى، بعض المفوضة استدل به، أو أكثر المفوضة يستدلون به، وكذلك ما سيذكره من كلام الإمام الشافعي يستدل به المفوضة، والمفوضة أمرهم عجيب، حريصون على الجهل، وحريصون على التجهيل، ولذلك سماهم شيخ الإسلام ابن تيمية: أهل التجهيل؛ لأن هذا الجهل الذي هم عليه

يصفون به أيضًا الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويصفون به السلف الصالح، كلهم عندهم أهل التجهيل، يعني كلهم جهال، جهال في ماذا؟ في أهم ما يجب أن يعرفوه، كلما ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ لنفسه صفة يجب جهلها، ذكر لنفسه اسمًا يجب جهل ما يتضمنه من المعاني، هذا مذهب المفوضة، ولما يجدون في نصوص بعض الأئمة شيئًا مما قد يتمسكون به يجعلونه أيضًا نصًّا فيما يذهبون إليه.

يقول الإمام الشافعي هنا: (**آمنت بالله وبما جاء عن الله علىٰ مراد الله، وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله علىٰ مراد رسول الله**)، وهذا كلام الإمام الشافعي، ولنا أن نتساءل: الله عَزَّ وَجَلَّ لما ملأ كتابه بذكر أسمائه وصفاته، وحضنا وحثنا على التدبر فيه، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد:٢٤] ماذا كان مراده؟ ما الذي تتوقع أن يكون مراده؟ أليس هو التعبد بهذه الأسماء والصفات؟ الله عَزَّ وَجَلَّ لما قال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة:٢] ماذا كان مراده في هذا؟ الحث على التقوى، مع بيان شدة عقابه، وكذلك في جميع نصوص الأسماء والصفات، المفوض يأتي ويقول: مراد الله عَزَّ وَجَلَّ أن لا تتدبر في شيء منها، والإمام الشافعي لما يقول هنا: آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله. معناه أنه لا يفهم شيئًا، ومراد الله عَزَّ وَجَلَّ هو عدم التدبر فيها، الله عَزَّ وَجَلَّ لما أمرنا بالتدبر، ما هو المراد؟

الذي يفكر في هذا الباب من بدايته سيعرف أن هذا المُجهِّل وهذا الجاهل الذي يحب الجهل، ويجهِّل أيضًا أصحاب النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأئمة السلف - يعرف أنه في طريق مناقض لما هو مراد الله عَزَّ وَجَلَّ ومراد رسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

إذًا مراد الله ومراد رسوله من هذه الأسماء والصفات هو التعبد بها، ومعرفة معانيها، والتقرب إلى الله عَزَّ وَجَلَّ بذلك، والنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قَالَ: «**إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر**» ماذا كان مراده؟ مراده أنه يتكلم بكلام لا يفهمه؟ طبعًا هذا مذهب بعضهم، بعضهم يقولون: حتى النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما كان يفهمه، وبعضهم يقول: لا، هو كان يفهمها، ونحن لا نفهمها. فماذا كان مراده هنا؟ كان يشغل الأمة بهذه كأنها تمتمات لا تفهم، ماذا كان المراد؟

ما الذي ترونه أنتم يا مشايخ؟ ما الذي أُريد منا من خلال هذه النصوص؟ وإلا سُبْحَانَ اللَّهِ! أنت رضيت بالجهل، فلماذا تلصقه حتى بالنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ «**إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر**» هكذا يقولون، ومراده لا نظير به، ومراده أن نقول له: الله أعلم بما تقول، ما هو البدر؟ ما معنى سترون؟ ما معنى ربكم؟ ما ندري، الله أعلم. هذا هو المراد، أنا ذكرت هذا لأن المفوضة من أدلتهم هذا، كلام الشافعي.

(**آمنت بالله وبما جاء عن الله علىٰ مراد الله**) الله عَزَّ وَجَلَّ مراده منها التعبد بها، أيضًا فيها معنى أنك إذا لم تفهم شيئًا.. هذا ذكرناه سابقًا تعليقًا على كلام الإمام الموفق، إذا لم تفهم شيئًا فلا بد أن تؤمن بلفظه ومعناه، مع أنك لم تفهم المعنى، وتقول: المعنى المراد بهذا النص أو ذاك النص الله عَزَّ وَجَلَّ أعلم به، ولكنني أؤمن به. وليس الفرض عليك أن تؤمن باللفظ فقط، (**وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله علىٰ مراد رسول الله**) إذًا في كلام الإمام الشافعي أمران:

الأمر الأول : أن نؤمن بكل ما جاء في الكتاب والسنة، ونعتقد أن مراد الله عَزَّ وَجَلَّ ومراد رسوله من ذكر هذه النصوص هو التعبد بها.

الأمر الثَّانِي: إن جهلت معنًى من معاني بعض النصوص؛ تؤمن باللفظ وبالمعنى أيضًا على مراد الله عَزَّ وَجَلَّ، حتى ولو لم تفهم، لا تقول: أنا كُلفت باللفظ فقط. لا، هذا مذهب المفوضة.

وعلى هذا كما ذكرت كل هذه النصوص التي ذكرها الإمام الموفق هي هذا الإطار: تعظيم الوحي عموما، ووجوب إثبات كل ما أثبته الله عَزَّ وَجَلَّ في كتابه، وأثبته له رسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سنته.

(**وعلىٰ هذا درج السلف وأئمة الخلف** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ) هذه دعوة، وهذه الدعوة صحيحة مائة في المائة، على هذا التسليم التام درج السلف وأئمة الخلف.

السلف لغة: كل من سبق فهو سلفك. والخلف: هو اللاحق، هذا معناه لغة.

واصطلاحًا هذان مصطلحان متقابلان، هناك منهج للسلف ومنهج للخلف:

السلف : هم الذين كانوا على منهج الصحابة، السلف هم الصحابة، ومن تبعهم من التابعين، والأئمة بعدهم، ويستمر هذا المنهج إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، هذا منهج السلف، وسلفنا في هذا هم الصحابة، فلا يُنظر فيه إلى تحديد زمني، من هذا الوقت إلى هذا الوقت سلف، ثم بعد ذلك خلف، يُنظر فيه إلى النهج.

والخلف : من خرجوا على منهجهم، وارتضوا التأويل والتفويض وغير ذلك ارتضوه منهجًا.

إذًا السلف غير والخلف غير، والخلف أنفسهم يبينون هذا، يقولون: منهج السلف كذا، ومنهج الخلف كذا. ولكنهم يخطئون في هذا، يهمنا هنا أن مراد الإمام الموفق بالخلف هو المعنى اللغوي وليس المعنى الاصطلاحي؛ لأن السلف والخلف إذا أخذنا المصطلحين بالمعنى الاصطلاحي لا يجتمعان، الخلف لهم منهجهم والسلف لهم منهجهم.

إذًا (**وعلىٰ هذا درج السلف وأئمة الخلف**) أي: كل من لحقهم ممن كان على منهجهم، هذا هو مراده، (**كلهم متفقون**)، لاحظوا في التعبير: (**كلهم متفقون علىٰ الإقرار**) أي: الإقرار واليقين والإثبات والإيمان، (**والإمرار**) متفقون أيضًا على الإمرار، أي يمرون ما جاء، ولا يتعرضون له بالتأويل، ولا يحرفونه ولا يصرفونه

عن المعنى الصحيح إلى معنى آخر يزعمون أنه هو المراد، وكما قلنا: المفوضة من أدلتهم أيضًا هذا، قول السلف، كثير من السلف يقولون: أمروها كما جاءت، المفوضة يقولون: معنى أمروها كما جات أي: لا تتعرضوا لمعناها، كيف أمررتها كما جاءت؟ أنت ما أمررتها كلها؛ لأن الكلمة فيها لفظ ومعنى، حذفت النصف، ما أمررتها كلها.

أمروها كما جاءت، هذا المنهج عند السلف عام حتى في باب العقيدة وفي غيره، وقصدهم في ذلك: لا تحرفوا هذه النصوص عن المعنى المقصود منها، فمثلًا سئل الإمام أحمد عن أحاديث الوعيد كقوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ثنتان في أمتي هما بهم كفر**»، وقوله: «**والله لا يؤمن**»، وقوله: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**» سئل عن هذا، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: تمر كما جاءت؛ لأن إمرارها كما جاءت هذا فيه تعظيم لهذه النصوص، وإلا فهذه النصوص هي مفسرة بنصوص أخرى واضحة عند الإمام أحمد وغيره.

معنى كلامه: تمر كما جاءت؛ أي: هذا التهديد الذي في ظاهر هذه النصوص تمر كما جاءت، وكذلك الأحاديث التي فيها بيان الفضائل الكبيرة، يقولون: تمر كما جاءت، إذًا هذا منهج ليس خاصًّا بصفات الله عَزَّ وَجَلَّ وأسمائه، وإنما منهج انتهجه الأئمة لجميع النصوص، تمر كما جاءت، والإمرار كما جاء لا يمكن إلا

بالإيمان باللفظ والمعنى، أما الذي يؤمن باللفظ دون أن يؤمن بالمعنى فهذا لم يمره كما جاء.

إذًا منهج الجميع أنهم (**متفقون علىٰ الإقرار والإمرار والإثبات لما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله من غير تعرض لتأويله**)، منهج التأويل متى نشأ هذا المنهج؟ حتى نعرف معنى كلام الأئمة، يعني منهج الصحابة، هل وجدتم أحدًا في عصر الصحابة وقف لبعض النصوص بحجة أنه يؤولها؟ هذا المنهج لا يوجد في أصل الصحابة، في أواخر عصر الصحابة نجد بعض أهل البدع، ثم تنشأ مدارسهم على التتابع، فيبرز هذا المنهج منهج التأويل.

مع منهج التأويل يعارض المنهج الذي كان عليه الصحابة وكان عليه السلف كلهم متفقون على الإقرار والإمرار، عندما جاء منهج التأويل؛ ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ۝٥﴾ لا، استولى، فهذا المنهج الذي يناقض منهج السلف هذا الذي يرد عليه الإمام الموفق وغيره، من غير تعرض لتأويله، أي: هذا التأويل الذي هو في نفسه التحريف كلهم لا يلتفتون إلى هذا المنهج، يمرون ويقرون ويؤمنون، من غير تعرض لتأويله.

(**وقد أمرنا باقتفاء آثارهم**) نحن أُمرنا باقتفاء آثار الصحابة (**والاهتداء بمنارهم**)، لأن منهجهم واضح مثل وضوح المنار، هم منارات تهتدى بهم، ومنهجهم واضح.

(**أمرنا باقتفاء آثارهم**) لأنهم طبقوا ما أريد منهم، الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم تطبيق عملي لما أريد في النصوص، (**وحذرنا المحدثات**)، بعد ما أمرنا باقتفاء آثارهم حذرنا مما يناقضه، وهو (**المحدثات، وأخبرنا أنها من الضلالات، فقال النبي** صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين**»)، «عليكم بسنتي»، لم يكتفِ به، قَالَ: «وسنة الخلفاء الراشدين المهديين»؛ لأن سنتهم كما قلت تفسير عملي تطبيق عملي لسنة النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فلذلك وصفهم بأنهم مهديون، لو لم يكونوا على سنة النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما كانوا يستحقون هذا الوصف: المهديين، كلهم مهديون لالتزامهم بسنة نبيهم صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

«عضوا عليها بالنواجذ»، هذا يُراد به التمسك بالشيء بحرص شديد، النواجذ هي الأضراس، عضوا عليها بالنواجذ يراد به شدة التمسك بالشيء، ومن كان حريصًا على الشيء يتمسك به بما يليق بشأنه، وبما يليق بحرصه على ذلك الشيء.

ف«عضوا عليها بالنواجذ» أي: احرصوا عليها بحرص يليق بها، كونوا عليها أحرص ما تكونون على شيء، هذا كله لأن السنة هي سبيل النجاة، كما ذكرنا من أثر الإمام الزهري، السنة هي سبيل النجاة.

«عضوا عليها بالنواجذ، وَإِيَّاكُمْ» بعد الحث على التمسك بالسنة نهى عن المحدثات، والمحدثات جمع محدثة، وهي كل بدعة أحدثها المبتدعة، «وَإِيَّاكُمْ» هذا

اللفظ فيه التحذير، «**إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة**»، هذا حديث أخرجه الترمذي وغيره، وهو حديث صحيح، وهذه ألفاظ الحديث «**فإن كل محدثة بدعة**» هذه كما يقولون كلية عامة لا يستثنى منها شيء، «**كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**».

وهذا الحديث أصل من أصول أهل السنة، فمن أصولهم ومن خصائصهم: أنهم يؤمنون بهذا الأصل، فلا يبتدعون في الدين، ويردون على أهل البدع، أما غيرهم فانظر إليهم في كل باب من أبواب الدين، انظر إليهم في الأحكام، وانظر إليهم في الإيمان، وانظر إليهم في القدر، وانظر إليهم في الأسماء والصفات، عدِّد البدع والمحدثات، أما أهل السنة فهذا أصل عندهم، كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، ليست هناك بدعة حسنة، ومن يقول أن هناك بدعة حسنة عليه أن يراجع نفسه، يناقض هذا الحديث، القول بأنَّ هناك بدعة حسنة، بل هناك بدعة واجبة، أعوذ بالله! هذا يناقض هذا الحديث: «**فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**»، والبدعة: هي أمر محدث في الدين فيه مضاهاة لما ورد في الشريعة، هذا هو المراد بالبدعة، حتى لا يكون هناك بدع واجبة، وبعد التفصيل يريد بها بعض المحدثات في الأمور الدنيوية.

البدعة:

هي إحداث في الدين، والبدعة عمومًا أمور يتقرب بها إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، وهي في أمور الدين، أما البدع والمحدثات في أمور الدنيا فنحن لا نتحدث عنها، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم نقل كلام عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من كبار الصحابة، من فقهائهم، توفي سنة ٣٢هـ يقول: (**اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم**) سُبْحَانَ اللَّهِ! كلام السلف فعلًا على اختصاره يتضمن معاني كثيرة جليلة جدًّا، اتبعوا، اتبعوا من؟ (**اتبعوا**) الكتاب والسنة، ما جاء في الكتاب والسنة، (**ولا تبتدعوا**) لا تخرجوا عنها وتبدعوا، لا تخترعوا شيئًا جديدًا منسوبًا إلى الدين، لماذا؟ (**فقد كفيتم**) هذا المبتدع الذي دائمًا حريص على إحداث شيء، ما الذي ينقصه؟ وما الذي ترك له حتى يكمل؟ فقد كفيتم، ليس هناك جانب إلا وهو واضح في الكتاب والسنة، بحيث إذا أردت أن تستدرك فستخرج عن الجادة، إذًا الدين ليس بحاجة إليك، ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة:٣] فما الذي يحتاج إليك حتى تكمل أنت أيها المبتدع؟ أنت كُفيت في كل شيء، أنت ماذا أوردت؟ أنت لما تجد بعض الأذكار؛ الأذكار التيجانية، والأذكار كذا، يقولون: هذه الأذكار استحدُثت لترغيب الناس في العبادة وتحبيبها إليهم ولكذا ولكذا، هكذا

تحبب الناس؟ تحبب الدين إليهم بهذه البدعة والمحدثات؟! هذا أصل (**اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفيتم**)، ليس هناك شيء فيه نقص بحاجة إلى تكميل من المبتدع، إذًا يكفيكم أن تعملوا بما جاء في الكتاب والسنة، وبما كان عليه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لا تحتاجون إلى تكميل واستكمال للدين أبدًا.

ثم ذكر نصًّا طويلًا لعمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ، عمر بن عبد العزيز هو ثامن الخلفاء الأمويين، وهو حفيد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد ولد في المدينة ونشأ هناك، وتعلم وأخذ العلم عن كبار التابعين؛ أمثال: سعيد بن المسيب وغيره، وعبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو خاله، وكان يحضر مجلسه، ويرجع إلى أمه ويقول لها: أريد أن أكون مثل خالي. فتزجره، تقول له: أف! تكون مثله؟ أنت تكون مثل خالك؟ وتستبعد، وهذا الرجل بعضهم عدَّه خامس الخلفاء الراشدين، وهذا فيه تجنٍّ على مقام الصحابي الجليل معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

على كل حال، هذا الرجل العظيم خلافته كانت سنتين ونصف، وعمل فيها ما عجز عنه غيره في سنوات طوال، وآثاره في التمسك بالسنة كثيرة جدًّا، هناك رسالة لأحد زملائي في الدراسة، رسالة علمية جمع فيها آثار عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ في العقيدة.

ومن آثاره ومن كلامه هذا الذي نقله الإمام الموفق، يقول: (**قف حيث وقف القوم، فإنهم عن علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا**)، طبعا هنا في عصر التابعين، وبعد

نشوء بعض المدارس البدعية، فيرد عليهم بكلمة موجزة جدًّا، أولًا يوصي: (**قف حيث وقف القوم**)، الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، اجعلهم مثالًا لك، قف حيث وقفوا، ولا تسئ الظن بهم مثل ما هو الحال عند المبتدعة، المبتدعة يسيئون الظن بالصحابة دائمًا، لم يقنعهم كلام الله عَزَّ وَجَلَّ وكلام رسوله، فكيف بغيرهم؟

(**فإنهم عن علم وقفوا، وببصر نافذ**) أي: ببصيرة ثاقبة (**كفوا**)، يقول: وقوفهم هذا الذي تراه، والتزامهم بالكتاب والسنة -هذا عن علم، وعن بصيرة ثاقبة، وليس عن عجز كما تظنها أنت.

كثير من المتكلمين في بدعة كتبهم يبررون للبدع التي سيذكرونها، مثل ما هو الموفق هنا يبرر للسنن التي يذكرها في هذه الآثار، هم أيضًا عندهم تقرير، فيذكرون في مقدمات كتبهم ويقولون: لماذا الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم نجد عندهم هذه الأمور؟ يقولون: كانوا مشغولين بالجهاد. طبعًا هذا مَن يحترمهم، يقولون: كانوا مشغولين بالجهاد. أما التعبد في هذا الباب فقد تُرك لهؤلاء المتأخرين، هم انشغلوا، وهؤلاء تفرغوا، تفرغوا لماذا؟ تفرغوا للبدعة.

يقول عمر رَحِمَهُ اللَّهُ: (**قف حيث وقف القوم فإنهم عن علم وقفوا**) وقوفهم ليس عن عجز، وقفوا عن علم، وببصيرة نافذة، ومن يتعدى منهجهم سيكون فيه من الجهل بحسب خروجه، والله كلمة عظيمة! (**فإنهم عن علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا**)، طبعًا هذا الذي يحترم يقول: كانوا مشغولين بالجهاد، وبعض من يسيء إلى

نفسه ولا يستحيي يقول: لو وقفوا على المسائل العلمية التي استحدُثت بعدهم لقالوا بها، ويكاد أن ينسب إلى الصحابة هذه البدع المحدثة، وكثير منهم يقولون: لن يكن من فلان وعلان إلا تجديد طريقة الصحابة، سبحان الله! يقولون هذا عن الأشاعرة وغيرهم، سبحان الله! كيف جددوا يعني؟ أول مرة نعرف التجديد بالرفض، هناك تجديد بالرفض، ترد عليه حتى تكون مجددًا لطريقتهم.

فعمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ يرد عليهم ويقول: (**ولهم**) اللام هنا للتأكيد، (**ولهم**) كأنه يقول: والله هم (**علىٰ كشفها كانوا أقوىٰ، وبالفضل لو كان فيها أحرىٰ**) طريقة المتأخرين طريقة المبتدعة لو كان فيها شيء من الفضل؛ كانوا هم أحرى بهذا الفضل، ليست هناك فضيلة ادخرت لأمثال الجعد والجهم والمريسي وغيرهم من رؤوس الضلال، سبحان الله! هذه الفضائل ادخرت لهم وحجب الصحابة عنها.

(**ولهم علىٰ كشفها كانوا أقوىٰ**) لقوتهم في العلم، لا تظن أن هذا الجوهر والعرض فيها العلم، وهم حجبوا عنها، لا، لو كان فيها خير؛ كانوا هم يكشفون عنها، ويوضحونها، (**وبالفضل لو كان فيها أحرىٰ**) لو كان فيها فضل؛ فهم كانوا أولى بهذا الفضل.

(**فلئن قلتم: حدث بعدهم**)، هذا كلامهم، يقولون: حدث بعد الصحابة من كذا وكذا مما استوجب كذا وكذا، يقول: (**فلئن قلتم: حدث بعدهم؛ فما أحدثه إلا**

من خالف هديهم ورغب عن سنتهم)، من الذي أحدث؟ الذي خرج عن منهجهم، والذي يريد أن يعالجه بمثل ما تعالجون فخروجه أكثر، فخروجه ومباينته لطريق الصحابة أوضح.

يقول: (فما أحدثه إلا من خالف هديهم ورغب عن سنتهم) يقولون: هذه الأمور استجدت، وعصر الصحابة لما كانوا عليه من الفضل، ولما كانوا عليه من النقاوة وصفاء قلوبهم -لم تحدث في وقتهم هذه الأمور، حدثت بعدهم، وأردنا أن نعالجها، تعالجها بماذا؟ تعالجها بالبدعة؟ تعالجها بالسنة.

ثم يقول: (ولقد وصفوا منه) أي: في هذا الباب (ما يشفي) والله يشفي، ما ذكروه يشفي في هذا الباب، (وتكلموا منه بما يكفي، فما فوقهم محسِّر، وما دونهم مقصر)، يقول: (ما فوقهم) الذي يريد أن يزيد عليهم هذا غالٍ، (محسر) معناه غالٍ، ولكن الغالي في نهاية الأمر يرجع، فلذلك جمع في هذا اللفظ أمرين: هذا عنده غلو، والمغالي دائمًا يرجع، معنى يرجع: ما يستطيع أن يستمر في غلوه؛ لأن هذا الغلو يجعله لا يقف عند حد، (فما فوقهم محسر) هذا عنده غلو (وما دونهم مقصر)، فسره بأوضح من هذا، يقول: (لقد قصر عنهم قوم فجفوا) وقعوا في الجفاء وهو التفريط، (وتجاوزهم آخرون فغلوا)، وقعوا في الإفراط، إذًا منهجهم هو المنهج الوسط، من يزيد عليهم يقع في الغلو، ومن يقصر عنهم يقع في التفريط.

(**وإنهم فيما بين ذلك لعلىٰ هدىٰ مستقيم**)، يعني أولئك الصحابة ومن كان على منهجهم، (**فيما بين ذلك**) أي: فيما بين الإفراط والتفريط، وبين الجفاء والغلو (**لعلىٰ هدىٰ مستقيم**).

نكتفي بهذا القدر.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَىٰ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ. اللّٰهم اغفر لنا ولشيخنا ولوالديه ولمشايخه والمسلمين.

قال الإمام: أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ في كتابه **لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد:**

وقال الإمام أبو عمر الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ: عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال، وإن زخرفوه لك بالقول. وقال محمد بن عبد الرحمن الأذرمي لرجل تكلم ببدعة ودعا الناس إليها: هل علمها رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي، أو لم يعلموها؟ قال: لم يعلموها.

قال: فشيء لم يعلمه هؤلاء أعلمته أنت؟ قال الرجل: فإني أقول: قد علموها. قال: أفوسعهم أن لا يتكلموا به، ولا يدعوا الناس إليه، أم لم يسعهم؟ قال: بلى وسعهم. قال فشيء وسع رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخلفاءه لا يسعك أنت؟ فانقطع الرجل. فقال الخليفة -وكان حاضرًا-: لا وسع الله على من لم يسعه ما وسعهم.

وهكذا من لم يسعه ما وسع رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه والتابعين لهم بإحسان والأئمة من بعدهم والراسخين في العلم من تلاوة آيات الصفات، وقراءة أخبارها، وإمرارها كما جاءت؛ فلا وسع الله عليه.

فمما جاء من آيات الصفات قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[المائدة: ٦٤]، وقوله تَعَالَىٰ إخبارًا عن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]، وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾[الفجر: ٢٢]، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾[البقرة: ٢١٠]، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقوله تَعَالَىٰ في الكفار: ﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾[الفتح: ٦]، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ﴾ [محمد: ٢٨]، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦].

ومن السنة، قول النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ينزل ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كل ليلة إلىٰ سماء الدنيا**»، وقوله: «**يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة**» وقوله: «**يضحك الله إلىٰ رجلين قتل أحدهما الآخر ثم يدخلان الجنة**».

التعليق:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، نحمده ونصلي على رسوله الكريم؛ أَمَّا بَعْدُ: -

لا زال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ في ذكر المقدمة التي يمهد بها لما سيذكره من المسائل، سبقت آثار من أئمة السلف، وأقوال لبعض الصحابة؛ كل ذلك في هذا التمهيد الذي يمهده لما سيذكره من المسائل.

ومن ذلك: **قول الإمام أبي عمرو الأوزعي** رَحِمَهُ اللَّهُ، أبو عمرو الأوزاعي هو إمام أهل الشام في وقته، في الوقت الذي كان الإمام مالك إمام أهل المدينة أو إمام أهل الحجاز، وسفيان الثوري كان إمام أهل العراق، في ذلك الوقت في تلك الفترة الزمنية نفسها كان الأوزاعي إمام أهل الشام، وهو أشهر إمام من أئمة أهل الشام عمومًا، وتلاميذه وشيوخه كثير منهم أئمة، لكن هذا أشهرهم، توفي سنة ١٥٧هـ.

يقول: (**عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس**) التزم بمنهج السلف وإن رفضك الناس، (**وإياك وآراء الرجال، وإن زخرفوه لك بالقول**) آراء الرجال في العقيدة وفي غير العقيدة تقدَّم بأمور مزخرفة، وأن هذا فيه تقدير وتعظيم لأولئك الرجال، وأن في عدم قبول كلامهم تطاول على العلماء، وأن فيه كذا وكذا، زخرفة، فعليك بآثار من سلف، وعليك بمنهج من سلف.

(**وقال محمد بن عبد الرحمن الأذرمي لرجل تكلم ببدعة ودعا الناس إليها**) طبعًا اسمه ليس كما ذُكر هنا، حسب ما ذكروه في الترجمة هو اسمه عبد الله بن محمد أبو عبد الرحمن الأذرمي، أخذه قاضي القضاة الذي هو ابن أبي دؤاد، وإليه الإشارة في قوله: (**لرجل تكلم ببدعة**) فالمراد به أحمد بن أبي دؤاد المعتزلي الذي كان قاضي القضاة في عهد بعض الخلفاء؛ منهم: المأمون، وتوفي في السنة التي توفي فيها المأمون ٢١٧هـ.

وهذا الرجل هو الذي تسبب في هذه الفتنة، **والمراد بالبدعة هنا**: البدعة التي هي بدعة خلق القرآن، في تلك الفترة كانت بداية الفتنة فتنة خلق القرآن، واستمرت على مدى عهود ثلاثة من الخلفاء: المأمون وبعده المعتصم وبعده الواثق، ويبدو أنها رُفعت في آخر زمن الواثق كما يتضح من هذه الرواية، وجاء بعده المتوكل، فرفع الفتنة بكاملها، ونصر السنة وأهلها.

وهذه البدعة هي **بدعة خلق القرآن**، وهذا العنوان (خلق القرآن) هذا عنوان لمسألة كبيرة جدًّا، وهي مسألة المنهج في إثبات الصفات، هل يُعتمد المنهج العقلي، أو يُعتمد المنهج الذي يستند إلى الوحي؟

وبالنسبة للتوحيد، هل يكون التوحيد بإثبات الصفات؟ هل يتحقق بإثبات الصفات، أو يتحقق بنفي الصفات؟ والمعتزلة كانوا يرون أن التوحيد لا يتحقق إلا بنفي الصفات، وكل من يثبت شيئًا من الصفات فهو مشرك، القضية عندهم خطيرة، من يثبت الصفات فقد وقع في الشرك.

وكان من أسباب لجوئهم إلى هذه البدع:

أولًا: جهلهم.

وثانيًا: مناظرتهم للنصارى.

النصارى كما تعرفون يثبتون ثلاثة أقانيم: الأب والابن والروح القدس، وهذه الأقانيم هي ذوات مستقلة، مع أن تعريفهم للأقانيم هم مضطربون في هذا اضطرابًا

كثيرًا جدًّا، والأقانيم إذا جُعلت صفات كلها تكون صفات ولا ذات لها، وإذا جُعلت ذوات، وهذا هو الواقع، لأن عيسى والروح القدس والله عَزَّ وَجَلَّ كلها ذوات مستقلة؛ على هذا الأقانيم تكون ذوات.

مع ذلك هم يقولون: "**بسم الأب والابن وروح القدس إلهًا واحدًا**"، يرجعونها إلهًا واحدًا، وهذا مستحيل عقلًا، لا يُفهم، هم لا يفهمون، ونحن أولى ألا نفهم، فهم قالوا لهؤلاء الذين كانوا يتصدرون لمناظرتهم، الذين يتصدرون لمناظرة الكفار دون أن يكونوا محصنين بالعلم فتنة فتنة، فتنة من أعظم الفتن، كما نجد الآن في هذا العصر. بعض من لم يتحصن بالعلم يتصدر لمناظرة الكفار، من جهله يرفض بعض الحق ويلتزم بعض الباطل، وبذلك يكون فتنة للكفار وللمسلمين، وهذا الذي حصل بالنسبة للجهمية وكذلك المعتزلة.

النصارى قالوا لهم: أنتم نسبتم إلينا الشرك بإثباتنا لثلاثة أقانيم، وأنتم شرككم أكبر؛ لأن هذه الصفات التي تثبتونها إما أن تثبتوها قديمة أزلية، وهذا يدل على تعدد القدماء، الله عَزَّ وَجَلَّ قديم وصفاته السمع والبصر والقدرة والحياة، هذه كلها قديمة، إذًا هذا يدل على تعدد القدماء، كثرة القدماء، التوحيد عندهم إثبات قديم واحد، فقالوا: حتى نفتك من هذا الإشكال نقول: لا نثبت شيئًا؛ من الصفات حتى لا يستلزم تعدد القدماء.

✍ ونحن نقول لهم: هذا يدل على جهلكم المركب، النصارى يثبتون ثلاثة ذوات، ونحن نثبت هذه الصفات الكثيرة نثبتها لذات واحدة، وأين تعدد القدماء؟ الذات الواحدة النفس المقدسة ذات الرب تتصف بصفات كثيرة، وهذه الصفات تعددها وكثرتها يدل على عظمة من اتصف بها، وهذه صفات نثبتها لأن الله عَزَّ وَجَلَّ هو الذي أثبتها لنفسه، وهي كمالات مطلقة، وهي من الإيمان به، ومن التوحيد به.

لذلك أئمة السنة ألَّفوا كتبًا أسموها التوحيد، وفيها إثبات الصفات، كتاب التوحيد لابن خزيمة كله أو أغلبه في إثبات الصفات، لأن التوحيد لا يتحقق إلا بإثبات الصفات، هذا عند أهل السنة، كتاب التوحيد في أواخر كتاب الصحيح للبخاري، كتاب التوحيد والرد على الجهمية هذا فيه إثبات الصفات، لأن التوحيد لا يتحقق إلا بإثبات الصفات.

من جهلهم التزموا هذا، ثم ارتدوا على أهل السنة، وقالوا: لا يجوز لنا جميعًا أن نثبت هذه الصفات، لماذا؟ لأن هذا المبتدع عجز عن مناظرة الكفار، والتزم هذا الباطل، وأراد أن يلزم الجميع بهذا الباطل، بما أنه لجهله التزم هذا الباطل يريد أن يلزم الجميع، كيف يريد أن يلزم الجميع؟ عن طريق الخليفة، هو الآن صار قاضي القضاة أحمد بن أبي دؤاد، وأراد أن يجبر الأمة على اعتناق المذهب الاعتزالي في المنهج، ليست القضية قضية خلق القرآن فقط، القضية قضية منهج، لذلك بعض من يتهور في مثل هذه المسائل ويتكلم فيها بدون علم ويضحك الناس عليه -يقول

الإمام أحمد- يعني تعصب في مسألة لم تكن تستحق هذه الوقفة الطويلة، ماذا لو اعترف بخلق القرآن؟ فنحن نقول: هذه المسألة عنوان لمنهج، هذا **أولًا**.

ثانيًا: لو كانت القضية منحصرة في صفة الكلام؛ لكانت أيضًا تستحق هذه الوقفة الطويلة من الإمام أحمد، ولكن الأمر كما قلت لكم لا يقتصر على صفة واحدة، إنما هو عنوان لما وراءه من المنهج، صفة الكلام الذي أثبتها الله عَزَّ وَجَلَّ لنفسه، ومن لا يثبت هذه الصفة لا يسلَم له إيمانه بالرسالة؛ لأن الكتب هذه كلها كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، الله عَزَّ وَجَلَّ أرسل الرسل بكلامه، فمن لم يؤمن بهذه الصفة لا يسلم له إيمانه بهذا الركن الذي هو الإيمان بالرسل، كما أنه لا يسلم له التوحيد.

لو كانت القضية منحصرة في صفة الكلام أيضًا لكانت الوقفة هذه في محلها، وهذه الوقفة هي من المواقف التي خلدها التاريخ، ولأجلها شُبه الإمام أحمد شُبه موقفه بموقف أبي بكر يوم الردة، ولكن هؤلاء الجهال الذين يتحدثون في هذه المسائل كما قلت يكونون فتنة للجميع.

إذًا هذه المسألة مسألة خلق القرآن.. لما أراد الخليفة أن يجبر الأمة على هذا المنهج ما استطاع، طبعًا كل القضاة والذين كانت لهم وظائف في الدولة كانوا يُعزلون، ومن لم يكونوا من هذا كانوا يعذبون، وكانوا يعتقلون، وممن اعتقل هذا الأذرمي، هذا الأذرمي اعتقل من الشمال، وجيء به مقيدًا إلى بغداد.

وكثير من الأئمة وروا في هذه المسألة حتى يفتكوا من هذا البطش.

☜ **فمثلًا**: أحدهم قال -يعدد هذا بأصابعه-: التوراة والزبور والإنجيل وصحف إبراهيم والقرآن هذه مخلوقة. يشير إلى الأصابع، وبهذه التورية.. وطُلب من الإمام أحمد أيضًا أن يوري ويفك نفسه من هذه، ولكنه أبى؛ لأن كثيرًا من الناس -بل أقول: الأمة- كانت تنتظر منه وكانت تنتظر كلمته، فلذلك أحد من جاءه ونصحه وطلب منه أن يوري قال له: اخرج شاهد الناس. فخرج فإذا بالآلاف ينتظرون بالأقلام وبالمحابر، يريدون أن يسمعوا الإمام أحمد ماذا سيقول.

فرأى من نفسه أنه لا يسعه أن يوري؛ لأنه لو خرج منها بشيء من التورية؛ أغلب الناس لن يفهموا منه أنه يوري، سيظنونها كلمة حاسمة فاصلة من إمام أهل السنة، وفي هذا انتصار وأي انتصار للمعتزلة! فلذلك صبر عليها على مدى عهود ثلاثة من الخلفاء، في هذه الفترة يُضرب ويسجن، وضربه تفصيله قد لا.. كان يُضرب بشكل أحيانًا تخرج أحشاؤه، وأحيانًا يُغمى عليه، وكانوا يتفننون في ضربه، والخليفة بنفسه كان يطلب كل يوم أن يعطيه شيئًا من تقرير الإفراج عنه، ما كان يقبل الإمام أحمد.

مما حصل في هذه الفتنة هذه القصة، هذه القصة ذكرها كثير من المؤرخين؛ منهم: الخطيب البغدادي، قصة طويلة اختصرها الإمام الموفق هنا، يقول أحد من صار خليفة بعد الواثق، يقول: **"ما زلت أقول: إن القرآن مخلوق"** يعني كنت أعتقد هذا **"صدرًا من أيام الواثق، حتى أقدم أحمد بن أبي دؤاد علينا شيخًا من أهل الشام"**

من أين؟ اعتقلوه من الشام، وأوصلوه إلى بغداد **"فأُدخل الشيخ على الواثق مقيدًا وهو جميل الوجه، تام القامة، حسن الشيبة، فرأيت الواثق قد استحيا منه ورق له"**.

الواثق هو الخليفة الثالث، وكل خلفة يوصي من بعده بالاستمرار على هذه المقولة، يقول: **"فما زال يدنيه ويقربه حتى قرب منه، فسلّم الشيخ فأحسن ودعا"** لمن؟ للخليفة **"فبلغ ووجز، فقال له الواثق: اجلس. فجلس، فقال له: يا شيخ، ناظر بن أبي دؤاد على ما يناظرك عليه"** وابن أبي دؤاد هو قاضي القضاة، وهو المسئول عن هذه الفتنة، أنا ذكرت أن أبا دؤاد توفي سنة ٢١٨هـ، وهذا لا يصح، لأن في هذه السنة توفي المأمون على ما أذكر.

"فقال له الشيخ: يا أمير المؤمنين ابن أبي دؤاد يصبو ويضعف عن المناظرات" ما أتوقع أنه يستطيع يناظرني، هذا من يقوله؟ هذا الشيخ الذي جيء به مقيدًا من هناك، **"فغضب الواثق، وعاد مكان الرقة له غضبًا عليه، وقال: أبو عبد الله"** يعني هذا الخبيث ابن أبي دؤاد **"أبو عبد الله بن أبي دؤاد يصبو ويضعف عن مناظرتك أنت؟!"** هذا يقوله للشيخ، **"فقال الشيخ: هون عليك يا أمير المؤمنين"** ما بك؟ **"وائذن في مناظرتي"** وشاهد الواقع **"فقال الواثق: ما دعوتك إلا للمناظرة. فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين، إن رأيت أن تحفظ عليَّ وعليه ما نقول"** كل ما يقول سجله، وكل ما أقول سجله **"قال: أفعل. فقال الشيخ: يا أحمد"** أحمد هذا أحمد البدعة، لقبه أحمد البدعة، كما أن الإمام أحمد أحمد السنة.

"**يا أحمد**" هذا يقوله الشيخ "**أخبرني عن مقالتك هذه، هي مقالة واجبة داخلة في عقد الدين فلا يكون الدين كاملًا حتى يقال فيه بما قلت؟**" يعني هل هي من أركان الإمام؟ لا يسع المؤمن إلا الإيمان بها؟ "**قال: نعم**" انظر الجرأة! "**قال الشيخ: يا أحمد، أخبرني عن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين بعثه الله إلى عباده، هل ستر رسول الله شيئًا مما أمره الله به في أمر دينه؟ قال: لا، فقال الشيخ: فدعا رسول الله الأمة إلى مقالتك هذه؟**" خلق القرآن، دعاهم إلى هذه المقالة؟ "**فسكت ابن أبي دؤاد، فقال الشيخ: تكلم. فسكت، فالتفت الشيخ إلى الواثق، فقال: يا أمير المؤمنين، واحدة. فقال الواثق: واحدة**".

فقال الشيخ: يا أحمد، أخبرني عن الله عَزَّ وَجَلَّ حين أنزل القرآن على رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ كان الله تَعَالَىٰ الصادق في إكمال دينه، أو أنت الصادق في نقصانه حتى يقال فيه بمقالتك هذه؟ فسكت ابن أبي دؤاد، فقال الشيخ: أجب يا أحمد. فلم يجب، فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين، اثنتان، فقال الواثق: نعم اثنتان".

"**قال الشيخ: يا أحمد، أخبرني عن مقالتك هذه: علمها رسول الله عَزَّ وَجَلَّ أم جهلها؟ قال: ابن أبي دؤاد: علمها**" فيما ذكره الشيخ هنا: (**هل علمها رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي، أو لم يعلموها؟ قال: لم**

يعلموها. قال: فشيء لم يعلمه هؤلاء أعلمته أنت؟ قال الرجل: فإني أقول: قد علموها) في الأول قال: لم يعلموها، قال: لا، أقول: علموها، هذا يدل على ماذا؟

"قال ابن أبي دؤاد: علمها، قال: فدعا الناس إليها؟ فسكت، قال الشيخ: يا أمير المؤمنين، ثلاث. فقال الواثق: ثلاث. فقال الشيخ: يا أحمد، فاتسع لرسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن علمها وأمسك عنها كما زعمت، ولم يطالب أمته بها؟ قال: نعم. قال الشيخ: واتسع لأبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان، وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؟ قال ابن أبي دؤاد: نعم. فأعرض الشيخ عنه، وأقبل على الواثق، فقال: يا أمير المؤمنين، قد قدمت القول أن أحمد يصبو ويضعف عن المناظرة، يا أمير المؤمنين، إن لم يتسع لك" هذه الآن مسؤوليته، أمامه يعترف هذا أنه علمها، لكنه لم يدعُ إليها واتسع لهم، "إن لم يتسع لك من الإمساك عن هذه المقالة ما زعم هذا أنه اتسع لرسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولأبي بكر وعمر وعثمان وعلي؛ فلا وسع الله على من لم يتسع له ما اتسع لهم". سبحان الله! انظر هذا الشيخ كيف وفق في هذه المناظرة، وفق بهذا الترتيب!

"فقال الواثق: نعم، إن لم يتسع لنا من الإمساك عن هذه المقالة ما اتسع لرسول الله وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي؛ فلا وسع الله علينا، اقطعوا قيد الشيخ. فلما قطع القيد، ضرب الشيخ بيده إلى القيد حتى يأخذه" يريد أن يمسكه هكذا "فجاذبه الحداد عليه، فقال الواثق: دع الشيخ يأخذه. فأخذه الشيخ فوضعه في كمه هنا، فقال

الواثق: لم جاذبت الحداد عليه؟ قال الشيخ: لأني نويت أن أتقدم إلى من أوصي إليه إذا أنا مت أن يجعله بيني وبين كفني؛ حتى أخاصم به هذا الظالم عند الله يوم القيامة، وأقول: يا رب سل عبدك هذا: لم قيدني وروع أهلي وولدي وإخواني بلا حق؟ أوجب ذلك علي؟ وبكى الشيخ، فبكى الواثق وبكينا، ثم سأله الواثق أن يجعله في حل وسعة مما ناله، فقال له الشيخ: والله يا أمير المؤمنين، لقد جعلتك في حل وسعة من أول يوم؛ إكرامًا لرسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" لأنه من أهل البيت "إذ كنت رجلًا من أهله. فقال الواثق: لي إليك حاجة. فقال الشيخ: إن كانت ممكنة فعلت. فقال له الواثق: تقيم قبلنا، فننتفع بك، وينتفع بك فتياننا" المهم طلب منه أن يكون هنا، لم يقبل، وقال له أرجعني إلى حيث جئتموني من هناك؛ حتى أخبرهم، وحتى لا يدعوا عليكم.

شبيهة بهذه المناظرة أيضًا حصلت لعبد العزيز الكناني، وهذه المناظرة حصلت أمام المأمون نفسه، وقد حكاها الكناني في كتابه (الحيدة)، كتاب جميل جدًّا من أروع ما يكون، هذا الكتاب اقرأوه ستستمتعون به، تعرفون كيف أن أهل السنة لما يلتزمون بالدليل هذا الدليل يكون عاصمًا لهم في كل شيء.

إذًا هنا (**فقال الخليفة -وكان حاضرًا-: لا وسع الله علىٰ من لم يسعه ما وسعهم**)، هذا كلام الأذرمي.

ثم قال تعليقًا على هذا القصة، قالها ابن قدامة: (**وهكذا من لم يسعه ما وسع رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه والتابعين لهم بإحسان والأئمة من بعدهم والراسخين في العلم من تلاوة آيات الصفات، وقراءة أخبارها**) آيات الصفات وأخبار الصفات، أخبار الصفات هي الأحاديث، الأحاديث التي فيها إثبات الصفات (**وإمرارها كما جاءت**) ذكرنا سابقًا أن إمرارها كما جاءت يكون بالإيمان باللفظ والمعنى، وإلا من زعم أن المعنى لا يؤخذ، يؤخذ اللفظ فقط؛ فهذا لم يمرها كما جاءت، هذا أُرغم على إمرار نصفها؛ لأنها جاءت، فكيف يمسحها ويمحوها من الكتاب والسنة؟! ولكنه لم يمرها كما جاءت.

يقول: (**من لم يسعه ما وسع أولئك؛ فلا وسع الله عليه**) هنا من تلاوة آيات الصفات وقراءة أخبارها، أهل السنة دائمًا يقرأون القرآن وكتب الأحاديث، بما فيها آيات الصفات وأخبار الصفات، لا يميزون بين هذا وهذا، فلذلك تجدون أن كتب الأحاديث سواء كانت مرتبة على المسانيد؛ كمسند الإمام أحمد مرتب على المسانيد، بدأ بالخلفاء الأربعة ثم العشرة، في مسند كل صحابي يذكر أحاديثه كلها دون تمييز بين أحاديث الأحكام وأحاديث الصفات، هذا منهجهم، من تلاوة آيات الصفات وقراءة أخبارها، لا يميزون.

وكذلك من رتبوها على الجوامع؛ مثل جامع الإمام البخاري، بدأ بكتاب بدء الوحي، ثم كتاب العلم، وكتاب الإيمان، وختم أيضًا بكتاب التوحيد، في كتاب

التوحيد رد على المعطلة، فيها إثبات للصفات؛ الصفات الفعلية والخبرية والمعنوية، كما سنشير إليها، لا يميزون بينها.

أما المتكلمون أهل البدع فمن منهجهم ألا يحدَّث الناس بأخبار الصفات، وهذا من الشروط التي اشتُرطت على شيخ الإسلام، وذكروها كشرط للإفراج عنه، لما كان مسجونًا في الإسكندرية، ذكروا له شروطًا؛ منها: ألا يتحدث بأخبار الصفات، وشيخ الإسلام كما تعرفون رد عليهم بكتاب اسمه (التسعينية) لم يخرج من السجن، رد عليهم بكتاب اسمه التسعينية، فهذا منهج أهل السنة، لا يميزون، يحدثون بهذه وهذه، ويقرأون هذه وهذه، ويثبتون ما في هذه وهذه من الأحكام أو من مسائل العقيدة.

أما المتكلمون فلا تكادون تجدون أحاديث الصفات إلا في القسم المردود، لما يقرر من النادر أن تجد الصفات، ثم يأتي إلى قسم يناظر فيه أهل السنة من أثبت الصفات، فهنا يذكر النصوص، وهذا هو القسم المردود.

ثم قال: (**فمما جاء من آيات الصفات**) ابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ بعد هذه المقدمة الطويلة، وهذه حقيقة مقدمة جميلة جدًّا، مقدمة جميلة استمتعنا بها، فانتقى لها نصوصًا هي في غاية الروعة، بعد هذا التمهيد، أيضًا إذا وجدنا شخصًا ينازعك في هذا فلا حيلة له، بعدها الآن سيذكر صفات كثيرة وردت في القرآن، ثم سيذكر صفات كثيرة وردت في السنة، مشى على هذا الترتيب، وهذا الترتيب يدل على أن ما

ورد في القرآن وما ورد في السنة كله من باب واحد، لا فرق من حيث الاستدلال بين ما ورد في القرآن وبين ما ورد في صحيح السنة.

يقول: (**فمما جاء من آيات الصفات قول الله تَعَالَىٰ**: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾) هذه الصفة هي من الصفات الخبرية، كنا نتوقع من الإمام ابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ أن يبدأ بالصفات التي يتفق فيها معك الكلابية، وهي الصفات المعنوية السبعة: الحياة والعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام، هذه الصفات السبعة يثبتها الكلابية، ولا ينازعون أهل السنة في إثباتها من حيث الجملة مع أن إثباتهم فيه دخن، ليس إثباتهم كإثبات أهل السنة، ولكن يثبتون، وكنا نتوقع منه أن يبدأ بهذه الصفات، ولكنه لم يبدأ بها، بل لم يذكرها في كتابه، فبماذا تفسر؟ لا يمكن أن يفسر إلا بتفسير واحد، وهذا نعرفه بتقسيم الصفات.

الصفات تنقسم باعتبارات عديدة إلى أقسام عديدة، تنقسم من حيث الأدلة، من حيث أدلة الصفات تنقسم إلى قسمين: صفات خبرية وصفات عقلية.

طبعًا مثل هذه التقسيمات لم تكن معروفة عند أهل السنة والجماعة، ولكن لما نشأت وبزغت هذه الفرق، وصارت كل فرقة تنكر نوعًا من الصفات لأمر معين، نشأت هذه التقسيمات، وهذه التقسيمات نحن نقول بها، ولكن لا نلتزم بما فيها من الباطل الذي سنشير إليه.

الصفات من حيث الأدلة تنقسم إلى قسمين: صفات خبرية وصفات عقلية:

الصفات الخبرية: هي الصفات التي لا يمكن إثباتها إلا بالدليل، بالخبر عن الله عَزَّ وَجَلَّ أو عن رسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا هو المراد بالخبر، الصفات الخبرية، دليل إثباتها السمع فقط، الوحي فقط، ومنها: صفة الوجه، وابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ بدأ بهذا النوع من الصفات، ثم سيبدأ بعدها الصفات الفعلية.

النوع الأول: الصفات الخبرية.

والنوع الثاني: الصفات العقلية.

هذا التقسيم أصلًا جاء من المتكلمين، المتكلمون يقسمون الصفات من حيث النظر إلى الأدلة إلى قسمين: صفات عقلية وصفات خبرية، الصفات العقلية عندهم هي الصفات التي دليلها العقل، وهي الصفات السبع، يسمونها الصفات المعنوية، هذه الصفات السبع التي هي الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام والإرادة، هذه الصفات السبع يسمونها الصفات العقلية؛ لأن دليل إثباتها عندهم العقل، وأدلتهم العقلية التي بها أثبتوا هذه الصفات أدلة جيدة، نحن نوافقهم، ولكن لا نوافقهم أن الأصل في إثباتها العقل، نقول: الأصل في إثباتها الوحي من الكتاب والسنة، ثم لا بأس أن نستدل لإثباتها بدليل عقلي؛ لأن هذا ورد في الكتاب والسنة، كثير من النصوص تشير إلى أدلة عقلية لإثبات هذه الصفات،.

هذا تقسيم بالنظر إلى الخبر أو بالنظر إلى الدليل، وهناك تقسيم آخر، هذا التقسيم من حيث تعلق الصفات بالله عَزَّ وَجَلَّ.

الصفات من حيث تعلقها بالله عَزَّ وَجَلَّ تنقسم إلى قسمين: صفات ذاتية وصفات فعلية.

الصفات الذاتية: هي التي لا تنفك عنها الذات المقدسة أزلًا وأبدًا، فلذلك يطلق عليها أيضًا الصفات الأزلية.

والقسم الثاني: الصفات الفعلية، أو الصفات الاختيارية؛ هي التي تتعلق بمشيئة الله وقدرته، يتصف الله عَزَّ وَجَلَّ بها بمشيئته وقدرته، منها: صفة الاستواء مثلًا، متى كانت هذه الصفة؟ ﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ثُمَّ﴾ [الحديد:٤] ثم بعد خلق السماوات والأرض، كلمة ثم تدل على أن هذه الصفة لم يكن متصفًا بها قبل خلق السماوات والأرض، وإنما اتصف بها بعد خلق السماوات والأرض.

الاستواء يدل على معنيين: يدل على العلو، وهذه صفة أزلية، ويدل على استواء فعله الله عَزَّ وَجَلَّ بعد خلق السماوات والأرض، وهذه الصفة خاصة بالعرش، وهذه الصفة تتعلق بمشيئته وقدرته.

من الصفات ما تكون ذاتية، مثل هذه ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾، هذه ذاتية بالنظر إلى التقسيم الثاني، وهي خبرية بالنظر إلى التقسيم الأول، عرفنا التقسيم.

الصفات العقلية السبعة يثبتها الكلابية عمومًا والأشاعرة والماتريدية، الصفات الخبرية يثبتها الكلابية وأوائل الأشاعرة، ولا يثبتها متأخرو الأشاعرة بعد

الجويني، الصفات الاخبارية لا يثبتها أحد من المتكلمين، من وجدته يثبت صفة فعلية لا بأس على هذا، هذا يثبت جميع الصفات، ما عنده إشكال، من وجدته يثبت صفة من الصفات الخبرية، هذا يثبت الصفات العقلية، لا تسأل عنه، كما هو الحال هنا، هذا يثبت الصفات الخبرية، ويثبت بعدها الصفات الفعلية، عدم ذكره للصفات العقلية لا إشكال فيه الآن بعد ما فهمنا التقسيم، من يثبت هذه الصفات يثبت هذه، ومن يثبت تلك الصفات لا يلزم أن يكون ممن يثبت الصفات الخبرية أو الصفات الفعلية.

الآن عرفنا لماذا بدأ بهذه الصفات الخبرية؛ لأنه لا يريد أن يتحدث عن تلك الصفات التي يثبتها ويوافقنا عليها بعض المتكلمين، يريد أن يحاجج هؤلاء الذين لا يثبتون الصفات الخبرية، كما هو موقف المتكلمين الآن، يثبتها أوائل الأشاعرة، بعد الجويني لا أحد يثبتها، وكذلك الصفات الفعلية، لذلك لم يذكر شيئًا من الصفات المعنوية أو الصفات العقلية.

(**فمما جاء من آيات الصفات قول الله تَعَالَىٰ:** ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾) هنا الله عَزَّ وَجَلَّ نسب البقاء إلى ماذا؟ ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ نسب البقاء إلى ماذا؟ ويجب أن نثبت صفة الوجه؛ لهذا الدليل، ولغيره من الأدلة، الأدلة على إثبات صفة الوجه كثيرة، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص:٨٨] هنا أيضًا نثبت صفة الوجه، وأيضًا في الأحاديث يقول النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«**إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها**» أيضًا يقول النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أعوذ بوجهك**» في حديث طويل.

نحن هنا نثبت صفة الوجه، وهناك من يسأل ويقول: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾، معنى ما تذكروه أن الذات الإلهية لا يبقى منها إلا الوجه، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ هكذا يقولون، لأن المعطلة يؤولون الوجه بالذات، ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ أي: ذات ربك، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ أي: إلا ذاته، فنحن نقول لهم: هناك أمران، ركز عليهما، صفة وموصوف، الصفة هنا الوجه، والموصوف هو الله عَزَّ وَجَلَّ، الوجه: صفة تدل على الذات، دائمًا الصفة تدل على الموصوف، والصفة لا تبقى بدون الموصوف.

إذًا لماذا نُسب البقاء إلى الصفة؟ لإثبات الصفة نفسها، وإثباتها يدل على إثبات الموصوف، ويدل على إثبات الذات، فهنا من يقتصر على إثبات الذات غفل عن المقصود في هذه الآية، المقصود في هذه الآية إثبات صفة يتصف بها الله عَزَّ وَجَلَّ، نحن نثبت أمرين وهم يثبتون واحدًا، ويشنعون ويقولون: أنتم على قولكم لا يبقى إلا وجه ربك.

وكما قلت: بقاء الصفة يدل على بقاء الموصوف، الذي ينسب شيئًا من المعاني إلى الصفة هذا يثبتها للموصوف، فالبقاء هنا لهذه الصفة العظيمة التي وصف نفسه

بها، وكذلك لذاته، إذًا نحن نريد أن نثبت الصفات، وإثبات الصفات يدل على إثبات صفاته هو وإثبات الموصوف.

قد يكون هناك إشكال في هذه المسألة في قوله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ [البقرة:١١٥]، هذه الآية من الآيات التي يستدل بها أيضًا المعطلة لإلزام أهل السنة أنكم إذا قلتم أن المراد بالوجه الصفة، وأنتم تقولون أنه مستوٍ على العرش، هنا يقول: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ إذًا ستتناقضون، لا يسلم لكم إثباتكم للعلو وإثباتكم لاستوائه على العرش، هذه الآية ذكرها شيخ الإسلام في قصته المعروفة في مناظرته حول الواسطية؛ لأنه أمهلهم سنتين المتكلمين، ليس يومًا أو يومين أوأسبوعين ولا شهرًا أو شهرين، بل سنتين، من يثبت أن حرفًا مما ورد في هذا الكتاب ليس عليه دليل، فسأرجع عنه، انظر الثقة هذه: حرف واحد! حصلت مناظرة حول الواسطية.

يقول: لما اجتمعنا قلت لهم.. كرر نفس المطالبة، فبدأوا يبتسمون، شيخ الإسلام يقول: أنا وقع في نفسي أنهم كأنهم قالوا: نحن وجدنا، يقول: وقع في نفسي. وقلت لهم: لعلكم تقصدون هذه الآية. قالوا: نعم نقصد هذه الآية. يقول: قلت لهم: هذه الآية ليست من نصوص الصفات، وذكر أن ما فسروه بقوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ معناه: فثم قِبلة الله، يقول: هذا التفسير صحيح هنا في هذه

الآية؛ لأن الآية جاءت في سياق بيان القلبة: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ﴾ الحديث هنا عن ماذا؟ عن القبلة، تحديد معنى الآية أو تحديد معنى حديث بالنظر إلى السياق والسباق هذا تفسير، فأين التأويل؟ كثير من المعطلة يأتون ويقولون: إذا قلت هنا بكذا؛ هذا تأويل، لا، التأويل بمعنى التفسير نحن نقول به، فبما أن الحديث هنا عن القبلة؛ فالمراد به القبلة، ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا﴾ أين ما تتجهون بوجوهكم، مطيعين لأمره، تتعبدون الله عَزَّ وَجَلَّ، مخلصين في طاعته؛ فثم قبلة الله.

ولا شك أن سياق الآية يدل على هذا، ولكن يشكل عليه شيء، أن شيخ الإسلام نفسه ذكر أن هذه من آيات الصفات، وأن قوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ المراد به الوجه، صفة الوجه، ذكر هذا، طبعا هنا قال لهم هكذا، وذكر في كتب أخرى أيضًا أن هذه من آيات الصفات، فما هو الحل هنا؟ الحل هنا سهل إذا عرفنا منهج الأئمة، منهج أهل السنة والجماعة، الحل هنا سهل، ليس فيه أي إشكال، نحن عندنا كما قلت إثبات الصفة، وإثبات لوازم هذه الصفة.

أيضًا هناك خلاف آخر بذكره قد يتضح أكثر، اختلف أهل السنة أنفسهم في صفة الجمع لقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ [الزمر:٥٦]، بعضهم قالوا: هذه الآية ليست من آيات الصفات. وبعضهم قالوا: هذه الآية من آيات الصفات، واختلفوا فيها، والصحيح أن الآية

يصح تفسيرها بالسياق ﴿فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ أي: فرط في حق الله عَزَّ وَجَلَّ، هذا صحيح.

أيضًا يصح أن تكون الآية من آيات الصفات، ويكون الجنب صفة من صفات الله عَزَّ وَجَلَّ، مثل: الساق والقدم واليد، صفة تليق بالله عَزَّ وَجَلَّ، هنا من يثبت الصفة صفة الوجه يسلم له المعنيان، ولكن من ينكر الصفة لا يسلم له إلا التأويل، من يثبت الصفة -صفة الوجه مثلًا- يسلم له أن يستدل بالآية على المعنيين، ومن لا يثبت إلا الصفة المؤولة، أو ليس له إلا التأويل؛ لا يسلم له إلا المعنى السياقِي.

وبذلك نعرف أن شيخ الإسلام حاججهم هنا، ورد عليهم أن هذه الآية حتى ولو لم تعتبر من آيات الصفات لا يشكل عليها، ولكن هل تستطيعون أن تأتوا بآية أخرى نعتبرها من آيات الصفات وفيها إشكال إذا لم نؤول؟ ما عندهم إلا هذه الآية.

نكتفي بهذا القدر، وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

يا مشايخ، بالنسبة لهذه المسائل، قد تمر علينا مسائل ما نستطيع أن نفصل فيها، وقد نذكر بعض المسائل ولا تكن مفهومة عند بعضنا، لأن أخاكم ضعيف في اللغة، فإن لم تفهموا شيئًا؛ اكتبوا أسئلة في الدرس القادم، لا تفوتوها، لا تفوتوا شيئًا؛ لأن هذه الأمور تتعلق بالعقيدة وتتعلق بالمنهج، نريد أن نستفيد، وقد يكون هناك خطأ

في التقرير أنتبه له، المهم أي شيء لم تفهموه فهمًا جيدًا صحيحًا لا تفوتوه، اكتبوا أسئلة، واعرضوها في الدرس الذي يأتي، اتفقنا؟

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ. اللّٰهم اغفر لنا ولشيخنا ولمشايخه وللحاضرين من المسلمين والمسلمات يا رب العالمين.

قال الإمام: ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ في كتابه **لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد:**

فمما جاء من آيات الصفات قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧] وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] وقوله سُبْحَانَهُ عن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦] وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢] وقوله تَعَالَىٰ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢١٠] وقوله تَعَالَىٰ: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤] وقوله تَعَالَىٰ في الكفار: ﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٦] وقوله تَعَالَىٰ: ﴿اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ﴾ [محمد: ٢٨] وقوله تَعَالَىٰ: ﴿كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦].

ومن السنة: قول النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ينزل ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كل ليلة إلىٰ سماء الدنيا**»، وقوله: «**يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة**»، وقوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يضحك الله إلىٰ رجلين قتل أحدهما الآخر، ثم يدخلان الجنة**».

فهذا وما أشبهه مما صح سنده وعُدلت رواته: نؤمن به، ولا نرده، ولا نجحده، ولا نتأوله بتأويل يخالف ظاهره، ولا نشبهه بصفات المخلوقين، ولا بسمات المحدَثين، ونعلم أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا شبيه له ولا نظير، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١] وكل ما تخيل في الذهن أو خطر بالبال فإن الله تَعَالَىٰ بخلافه.

التعليق:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ، نحمده ونصلي على رسوله الكريم؛ أَمَّا بَعْدُ: -

كنا قد بدأنا في ذكر ما ذكره الإمام ابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ من بعض آيات الصفات أو أحاديث الصفات، كما مر معنا بعد أن تحدث في مقدمة طويلة عن منهج أهل السنة والجماعة في هذا الباب، قال بعد ذلك: (**فمما جاء من آيات الصفات**) ذكرنا أنه ذكر بعض الآيات، ثم ذكر بعض الأحاديث، (**فمما جاء من آيات الصفات: قول الله** عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٧])، وسبق أن تحدثنا عن هذه الآية.

ثم قال: (**وقوله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]) في هذه الآية أثبت الله عَزَّ وَجَلَّ لنفسه يدين كريمتين تليقان بجلاله وكماله، ونحن نثبت أن الله عَزَّ وَجَلَّ متصف بصفة اليدين، وهذه الصفة أيضًا من الصفات الذاتية من حيث تعلقها بالله عَزَّ وَجَلَّ، ومن الصفات الخبرية من حيث أدلتها، وسبق أن

ذكرنا تقسيمات الصفات، والله عَزَّ وَجَلَّ أثبت هذه الصفة في آيات كثيرة، والنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أثبتها لربه في أحاديث كثيرة، فمما ورد في إثبات هذه الصفة هذه الآية: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾، ومما ورد في ذلك قوله سُبْحَانَهُ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، ومن ذلك: قال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما رواه البخاري: «**يَدُ اللهِ مَلْأَىٰ لاَ يغِيضُهَا نَفَقَةٌ**».

«**لاَ يغِيضُهَا**»: أي لا ينقصها. لا تنقصها نفقة.

«**سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**». السحاء: كثيرة السبق.

أيضًا ما ورد عن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما رواه الإمام مسلم في صحيحه من أن الله عَزَّ وَجَلَّ يقبض السماوات بيمينه والأرضين بيمينه.

أيضًا من ذلك قوله سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧].

والأدلة في ذلك كثيرة، والمخالفون لأهل السنة في هذه الصفة وفي غيرها هم يؤولون، وتأويلهم هنا من أغرب ما يكون، كما في غير هذه الآيات، وهم فيما عهدناهم يدفعون الأدلة بأي وجه كان، وهذا الدفع هم يتقربون إلى الله عَزَّ وَجَلَّ به؛ يظنون أنهم يُصَفُّون الكتاب والسنة من الشوائب التي تلقي الناس في التشبيه، ولا يستحيون من أن ذكر هذه الأدلة -هذه الآيات المتشابهة وهذه الصفات- توهم

ما لا يليق بالله عَزَّ وَجَلَّ، وبالتالي يذكرون أن هذه المتشابهات فتنة للناس! هكذا يقولون.

وبالتالي هذا التأويل وذاك التأويل المستغرب البعيد هم يعتبرونه خدمةً للكتاب والسنة، ماذا يقولون هنا؟

يقولون: اليد الحقيقية مستحيلة على الله عَزَّ وَجَلَّ، اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لا يتصف بها، فنحملها على النعمة أو القدرة. الله عَزَّ وَجَلَّ متصف باليد بمعنى أنه متصف بالقدرة أو متصف بالنعمة.

وإطلاق اليد على النعمة أو القدرة هذا ورد في عموم اللغة، يُقال: فلان له عليّ يد؛ أي: له عليّ نعمة. ويُقال: ما لي بهذا الأمر يد أو يدان؛ أي: لا أستطيع.

قالوا: بما أنه ورد في عموم اللغة إطلاق اليد على النعمة أو القدرة؛ فنحمل هذه الصفة الواردة لله عَزَّ وَجَلَّ، نحملها على القدرة أو النعمة.

ومناقشتهم في هذه التأويلات طبعًا ستأخذ منا الوقت، قد لا نستفيد إلا مناقشتهم، فهنا في هذه الصفة نذكر قاعدةً ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالته التي أسماها (المدنية في الحقيقة والمجاز)، هناك رسالة صغيرة له أسماها (الرسالة المدنية في الحقيقة والمجاز)، ذكر فيها أن أي صرف في أي صفةٍ، الصرف من الحقيقة إلى المجاز يحتاج إلى أربعة أمور:

إذا قال لك المتكلم أن المراد هنا المجاز وليس الحقيقة؛ فنطالبه بأربع خطوات، وهذه الخطوات كما ذكر شيخ الإسلام، وهم أيضًا يقولون بها ويعترفون؛ لأن هذه الخطوات ضرورية.

- الخطوة الأولى: إثبات أن ذلك اللفظ -اليد مثلًا- مستعمل في المعنى المجازي، وأن المعنى المجازي مما يُراد باللفظ عمومًا.

أنتَ لما تقول: إن اليد المراد بها النعمة أو القدرة؛ فلا بد أن يكون استعمال اليد بهذين المعنيين موجودًا في اللغة. طبعًا كلام شيخ الإسلام طويل، أنا أنصحكم بالرجوع إليه، والرسالة مطبوعة مستقلة.

نحن الآن بين أمرين؛ بين الحقيقة والمجاز، ولا يختلف أحد أن الواجب هو أخذ الحقيقة، حتى هو يقول: الحقيقة هنا وأصرفها إلى المجاز، فنطالبه أيضًا بالخطوة الثانية.

- الخطوة الثانية: أن يكون معه دليل يوجب صرف اللفظ عن حقيقته إلى مجازه. وإذا كان يدعي أن الصرف واجب، يجب أن نصرف، فلا بد أن يكون عنده دليل يوجب الصرف، وإذا كان يدعي أن المعنى المجازي أظهر؛ فلا بد أن يأتي بدليل يثبت أن المعنى المجازي أظهر.

الخطوة الثالثة: دليله الذي يذكره لصرف اللفظ عن الحقيقة إلى المجاز، لا بد أن يكون سالمًا عن المعارض، وإلا فإذا تمسك صاحب الأصل.. نحن أصحاب الأصل، الأصل أن المراد بهذه الصفة يدان تليقان بالله عَزَّ وَجَلَّ، وهذا هو الأصل.

المتمسك بالأصل إذا أبطل دليلك الذي تزعم أنه يوجب الصرف من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي؛ تبقى مطالبًا بالدليل، فلا بد أن يكون دليلًا الذي جئتَ به سالمًا عن المعارض.

الخطوة الرابعة: أنت لما تزعم أن المراد بهذه الصفة والمراد بتلك الصفة المراد بها كلها مجاز، وهذه الصفات كثيرة، وفي كل موضع تدعي أن المراد مجاز، ما وجدنا ولا في موضع أن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو الله عَزَّ وَجَلَّ أشار إلى أن المعنى الحقيقي مستحيل فلا بد أن تصرف إلى المعنى المجازي، لا بد أن يكون هناك بيان من الشارع من الكتاب والسنة أن المعنى الحقيقي غير مراد، لا بد أن تثبت، وإلا إذا كانت الآيات والأحاديث كلها مطردة في الإثبات؛ سنفهم أن هذا الاطراد مما يؤكد الحقيقة، ومما يحرم الخروج من..

مثلًا: الله عَزَّ وَجَلَّ أثبت صفة الاستواء في سبع آيات من القرآن، لم يرد في آية إثبات الاستيلاء، وأن معنى الاستواء هو الاستيلاء، فكيف نفهم هذا الاطراد؟

نفهم هذا أن المراد أن الاستواء هو المقصود إثباته هنا، وأن المعنى الحقيقي هو المقصود، ولا يجوز أن يُصرف إلى معنى آخر.

فإذا طالبناهم بهذه الخطوات الأربعة هنا في اليد، أول مطالبة ما هي؟ إثبات أن ذلك اللفظ مستعمل في المعنى المجازي من حيث العموم، وأن المعنى المجازي مما يُراد باللفظ.

نحن نسلم لهم أن اليد في عموم اللغة تأتي للنعمة وللقدرة كما ذكرنا، ولكن إذا ثُنِّيت ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾، ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، هذا لم يرد في اللغة أنه يُراد به النعمة أو القدرة.

ويستحيل هنا الإرادة باليدين النعمتين أو القدرتين؛ لأن القدرة صفة واحدة، أليس كذلك؟ أو هناك صفتان؟ القدرة صفتان أم صفة واحدة؟

الطالب: صفة واحدة.

الشيخ: فلما تقول: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾، بل قدرتاه مبسوطتان ما معناه؟! القدرة صفة واحدة.

ولما تقول: بل نعمتاه مبسوطتان، ما منعك أن تسجد لما خلقتُ بقدرتيّ أو بنعمتيّ؟!

نعمُ الله عَزَّ وَجَلَّ لا تُعد ولا تُحصى، ليست نعمتان فقط، كيف تحصرهما في نعمتين؟! نعمُ الله عَزَّ وَجَلَّ لا عدَّ لها ولا حصر، مما يدل على أن هذا التأويل مستحيل حسب الخطوة الأولى، لم ننتقل إلى الخطوات الأخرى، في الخطوة الأولى.

ولذلك لكَ أن تستغرب وتتعجب ممن يصر على هذا التأويل مع هذا الوضوح ومع هذا البعد، واللهِ العظيم لكَ أن تستغرب وتتعجب من هذه التأويلات التي تُكرَه عليها النصوص! النصوص تُكره وتُستكره وتُساق إلى مثل هذه التأويلات المستكرهة التي يُنزه منها كلامُ رب العالمين، وكلامُ النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفصح خلق الله، وأنصح خلق الله، كلامه دائمًا هكذا موهم، ويأتي هؤلاء ليمحصوا كلامه، وليثبتوا ما يليق برب العالمين، وينفوا ما لا يليق برب العالمين!

أما الخطوات الثانية والثالثة والرابعة:

في الخطوة الثانية: نقول لهم: ما الموجب لصرفه؟ لابد أن يكون عندك دليل يوجب.. ما هو الدليل الذي عندك؟ دائمًا تجد عنده شبهة التشبيه، يقول لك: إثبات اليدين فيه تشبيه لله عَزَّ وَجَلَّ بالمخلوقين، نحن متى أثبتنا يدين مثل يدي المخلوق؟! متى أثبتنا هذا؟!

إذًا حقيقة اليدين المثبتين لله عَزَّ وَجَلَّ تليقان به وبكماله، وليس فيها ما يوهم.. أنا لما أقول: يدُ الباب، أليس هذا مستعملًا في عموم اللغة؟ يأتيني شخص ويقول: أنتَ قلتَ: يد الباب. واليد الحقيقية هي يدُ البشر، وإطلاق اليد هنا على يد الباب هذا مستحيل، وهذا مما يُحمل على المجاز، ومجازه كذا وكذا.. ماذا يُقال له؟

يُقال له: يدُ الباب يليق به، ويد البشر يليق به، ويدُ كذا يليق به.. بالإضافة والنسبة تتقيد الأوصاف وتتميز.

إذًا كل ما يُنسب ويُضاف إلى الله عَزَّ وَجَلَّ لا يُفهم إلا على ما يليق به وبكماله وجلاله، وبالتالي أنتَ لما تفهم ما يليق بالمخلوقين تقع في التشبيه في البداية، ثم تعطل النص، ثم تعطل المدلول والصفة، تقع في تعطيلين، ثم ترجع وتقع في التشبيه مرة أخرى؛ تشبه الله عَزَّ وَجَلَّ إما بالمعدومات وإما بالجمادات وإما بالمستحيلات.

إذًا العلاجُ أن تنظف، وأن لا تفهم من هذه الصفات ما يليق بالمخلوقين، هذا هو العلاج، وتقدِّر الله عَزَّ وَجَلَّ قدره، ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ﴾ [الزمر: ٦٧]، وهنا نرجع معه إلى التأويل مرة أخرى، ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧] يقول لكَ: اليمين والقبضة ليست.. فنقع معه في التأويل مرة أخرى.

فإذًا لا بد أن تفهم كل ما يُضاف إلى أي مضاف، تفهمه على ما يليق بهذا المضاف، اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هنا يقول: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ﴾ [ص: ٧٥] هنا الصفة صفة الخلق، وهذه لا تكون إلا لله عَزَّ وَجَلَّ، ﴿خَلَقْتُ﴾ مَن الذي خلق؟ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، ﴿بِيَدَيَّ﴾ بعد أن أثبتَ الفعل وهو الخلق، ذكر أن هذا الخلق باليدين، بيديه الكريمتين؛ مما يدل على أن آدم أبا البشر ميزه الله عَزَّ وَجَلَّ وخصه بهذه الصفة؛ أن الله عَزَّ وَجَلَّ خلقه بيديه.

أما أنتَ لما تقول: بقدرتيه، أو نقول: بقدرته، فما الذي يميزه عن الشيطان أو يميزه عن غيره؟ أليس كل المخلوقات الله عَزَّ وَجَلَّ خلقها بقدرته؟ فما الذي خص الله عَزَّ وَجَلَّ آدمَ به؟

ثم يقول: (**وقوله تَعَالَىٰ إخبارًا عن عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ**: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]).

اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هنا أثبت لذاته النفس، ونحن نثبتها، وإثبات النفس لله عَزَّ وَجَلَّ ليس إثبات صفة، وإنما إثبات إطلاق، نطلق على الله عَزَّ وَجَلَّ ونثبت أنه أثبت لذاته النفس، والنفس المراد بها الذات، الذات المقدسة، الذات الكريمة، وذهب بعض العلماء أو قليل من العلماء من أئمة أهل السنة أن النفس تُثبت كصفة مستقلة لله عَزَّ وَجَلَّ، منهم: ابن خزيمة رَحِمَهُ اللَّهُ، وهذا كما ذكر شيخ الإسلام ليس صحيحًا، بل النفس تُطلق على الذات، ونحن نطلقها على الله عَزَّ وَجَلَّ.

﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾، وأيضًا يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾، وفي الحديث: «**سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَىٰ نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ**»، أيضًا في الحديث الآخر: «**يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَىٰ نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بينكم مُحَرَّمًا، فَلَا تظالموا**».

ثم قال: (**وقوله** سُبْحَانَهُ: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾، **وقوله** تَعَالَىٰ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾﴾ [البقرة: ٢١٠]).

هنا أثبت الله عَزَّ وَجَلَّ لنفسه المجيء، وأثبت لنفسه أيضًا الإتيان، وهذه من الصفات الفعلية.

الصفات الفعلية هي التي تتعلق بمشيئة الله عَزَّ وَجَلَّ وقدرته، وليست من الصفات الذاتية الأزلية التي يتصف الله بها الله عَزَّ وَجَلَّ دائمًا وأبدًا، سبق أن ذكرنا هذا.

وهذه من الصفات الفعلية، والصفات الفعلية وبقية الصفات -الصفات الخبرية، الصفات العقلية- كلها أهل السنة والجماعة يثبتونها كما تليق بالله عَزَّ وَجَلَّ، لا يميزون بينها، لا يقولون مثلًا: لا نثبت إلا الصفات العقلية، والباقي لا نثبتها؛ لأن فيها كذا وكذا، لا، أهل السنة يثبتون كل ما أثبته الله عَزَّ وَجَلَّ لنفسه، وكل ما أثبته له رسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويثبتونها على ما تليق بالله عَزَّ وَجَلَّ، وليس فيها تشبيه.

مجيء الرب سُبْحَانَهُ وإتيانه يليق بكماله وجلاله، ليس مثل إتيان المخلوقين الذي لا يكون إلا عن حاجة، لماذا يذهب ويأتي أحدنا؟ لأمر يريده، ولا يمكن تحقيقه في هذا المكان أو ذلك المكان، واللهُ عَزَّ وَجَلَّ منزه عن هذا، لماذا يأتي الله عَزَّ

وَجَلَّ؟ هو أعلم. وكيف يأتي؟ هو أعلم، ولكن أخبرنا أنه سيأتي، وأخبرنا أنه سيجيء، سيأتي، ونحن نثبتها لله عَزَّ وَجَلَّ.

هنا في قوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ الله عَزَّ وَجَلَّ يهددهم، يهدد الكفار، ويقول لهم: ما تنتظرون إلا يوم الحساب، ما تنتظرون إلا ذلك اليوم الذي سيأتي فيه الله عَزَّ وَجَلَّ في ظلل من الغمام، أي: في السحب.

يأتي لماذا؟ للحساب، للكتاب، ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾﴾؛ أي أنكم لا تنتظرون إلا ذلك اليوم، وستعلمون ما سيلحقكم في ذلك اليوم، وهذا تهديد من الله عَزَّ وَجَلَّ، هنا أثبت الله عَزَّ وَجَلَّ إتيانه وإتيان الملائكة ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾.

المخالفون ماذا يقولون؟ يقولون: اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لا يأتي، ولا يجيء، وهذا مستحيل عليه؛ لأنه يستلزم الانتقال، والانتقال من الأعراض، الحركة والسكون هذا من الأعراض، ومَن يتصف بالأعراض يكون حادثًا، واللهُ عَزَّ وَجَلَّ يستحيل عليه الانتقال والمجيء!

➢ طيب، ما الذي أثبته الله عَزَّ وَجَلَّ هنا لنفسه؟

✍ قالوا: هذا مجيء أمره، أو مجيء ملائكته.

طبعًا في هذه الآية ما يستطيع أن يؤول هكذا ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾، ما الذي بقي؟ بقي أن يؤول بأمرِ ربه.

في آية أخرى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، ما الذي بقي للجهمي هذا؟!

ما بقي شيء، مع ذلك يصر على أن إتيان الرب معناه مجيء أمره أو مجيء ملائكته.

➢ نحن نسأل: ما الذي يمنع من إتيانه عَزَّ وَجَلَّ؟

يقول: إتيانه يستلزم الانتقال، والانتقال فيه حركة وسكون، والحركة والسكون أعراض. الأعراض عندهم أربعة: الحركة والسكون والاجتماع والافتراق، وكلُّ ما كان فيه اجتماع وافتراق أو حركة وسكون هذه أعراض، وكل مَن فيه هذه الأعراض يكون حادثًا، اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لا ينتقل، وبالتالي لا يمكنه ويستحيل عليه أن يأتي! سبحان الله! هكذا يقولون.

➢ ما هو الدليل على أن الانتقال أو المجيء والإتيان يستحيل عليه؟

يقول لك: أجمع المسلمون على هذا. يقول الرازي في تفسير هذه الآية، في تفسير قوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾، يقول الرازي في تفسيره، هذا نصُّ كلامه، يقول: "**أجمع المعتبرون من العقلاء**" إذا لم تكن معه، ماذا تكون؟ ستحشر نفسك في... "**أجمع المعتبرون من العقلاء على أنه** سُبْحَانَهُ

منزه عن المجيء والذهاب". سبحان الله! إذًا المعتبرون من العقلاء، قالوا لله عَزَّ وَجَلَّ: أنتَ جئتَ بأمر يخالف الإجماع، فاسمح لنا.. نحن أجمعنا قبل..

هل يمكن أن يجمع العقلاء -إذا كانوا مسلمين- على ما جاءت الآيات بخلافه؟!

ويقول أحد آخر.. نقل كلامه الشيخ ابن جبرين في في شرح هذه الرسالة لمعة الاعتقاد، هذا نصُّ كلامه، يقول: "**أجمع المسلمون**" هكذا يتدرجون؛ المسلمون، ثم العقلاء، العقلاء أو المسلمون هكذا "**أجمع المسلمون على أن الله منزه عن المجيء والذهاب**" هذا أولًا.

فيقول لك: نحن نتحدث عن مسألة أجمع عليها المسلمون والعقلاء، ماذا تقول له؟ تقول له: هذه إجماعات الجهمية والمعتزلة، وكل ما زادت بعثت فيه الريبة؛ لأن اتفاقهم يدل على أن هناك شيئًا، المبتدعة لما يجمعون ويجتمعون ويتفقون على شيء؛ هذا يدل على أن في الأمر شيء، فإجماعاتهم لا اعتبار بها، إجماعهم يخالف هذه الآية: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾.

فكيف يردون على هذه الآيات؟ ما يتعلق بالآيات يقولون: المراد بإتيانه ومجيئه مجيء أمره أو مجيء بعض ملائكته، وما يتعلق بالأحاديث قال: هذه فيها ما فيها، حتى أحاديث الصحيحين فيها ما فيها، في الصحيحين الحديث الطويل الذي يتعلق بيوم القيامة يقول: «**حتىٰ إذا لم يبقَ إلا مَن يعبد الله أتاهم رب العالمين**»، إذًا

يقولون: الإتيان والمجيء هذا يستلزم حلول الحوادث بذاته سُبْحَانَهُ، يدل على أنه حادث، وكل ما يدل على أنه حادث لا نثبته.

وإذا أثبت هذه الصفات على ما تليق بالله عَزَّ وَجَلَّ، بكماله وجلاله، ليس فيها تشبيه، وليس فيها حلول الحوادث، حتى هذا الذي أصَّلوه حلول الحوداث، هذا طاغوت، هذا من أشهر طواغيتهم، يقولون: حلول الحوادث.

➢ ما معنى حلول الحوادث؟

إن كنتَ تظن أو تزعم أن مخلوقًا يحل في ذاته سُبْحَانَهُ؛ هذا لا يقول به عاقل، وإنْ كنتَ تعتقد أن اتصافه بالصفات التي هو أثبتها لنفسه وأثبتها له رسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا حلول الحوادث، فهذا جهل منك، هذا ليس حلول الحوادث، هذه كمالات يثبتها الله عَزَّ وَجَلَّ لنفسه، ليس فيها حلول حوادث.

فهم لما يأتون بهذه.. لا تخف، تجد أن ما يأتون به من الطواغيت هذه لا تحق حقًّا ولا تبطل باطلًا، بل في أغلبها تكون لرد الحق ولالتزام الباطل.

ثم قال: (**وقوله:** ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، **وقوله:** ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤] **وقوله في الكفار:** ﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٦] **وقوله:** ﴿اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ﴾ [محمد: ٢٨] **وقوله:** ﴿كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦]).

هذه الآيات فيها إثباتُ صفة الرضا والمحبة والغضب والكره والسخط لله عَزَّ وَجَلَّ، فهذه الصفات أيضًا صفات اختيارية، تتعلق بمشيئته وقدرته، يحب مَن شاء من عباده، ويبغض مَن شاء من عباده، ويسخط على مَن شاء من عباده، ويكره مَن شاء من عباده، وهكذا.

هذه صفات فعلية تتعلق بمشيئته وقدرته.

هنا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أثبت لنفسه الرضا من الطرفين: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾.

﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾، أثبت المحبة من الطرفين، وهذا هو الصحيح، أما المتكلمون والمعتزلة يقولون: ننفي المحبة من الطرفين.

➢ ما معنى المحبة؟

قالوا: "**إرادة الإنعام، وإرادة الإحسان**".

﴿يُحِبُّهُمْ﴾ أي: يريد أن يحسن إليهم، ويريد أن ينعم عليهم، ويريد أن يكرمهم.

﴿وَيُحِبُّونَهُ﴾ يجوز، لا يجوز إثباتُ المحبة من الطرفين عندهم.

﴿وَيُحِبُّونَهُ﴾: يعبدونه!

بالنسبة للأشاعرة يثبتون المحبةَ من طرفِ العبد ولا يثبتونها من طرف الله عَزَّ وَجَلَّ. سبحان الله! آية مختصرة في كلمتين: ﴿يُحِبُّهُمْ﴾، هذه لا يمشونها، ﴿وَيُحِبُّونَهُ﴾ هذه يمشونها.

جملتان، كيف أثبتم هذه، ورفضتم هذه ولم تثبتوا هذه؟ قالوا: المحبة تدل على ميلٍ في القلب، وكذا وكذا في القلب، واللهُ عَزَّ وَجَلَّ منزه عن مثلِ هذا، فلا نثبت له المحبة.

ما الذي تثبتون له؟ حتى في الغضب، الغضبُ: إرادة الانتقام! وكذلك السخط، كل ذلك، يؤولونها إما بالمخلوق، وإما بالإرادة.

﴿يُحِبُّهُمْ﴾ إما محبة إرادة الإحسان، أو النعمة التي ينعم بها الله عَزَّ وَجَلَّ على المخلوق، هي مخلوقة النعم.

إذًا إما يؤولونها ببعض المخلوقات، مثلًا نعمة الولد، نعمة المال، هذه النعم مخلوقات الله عَزَّ وَجَلَّ، فهم يؤولونها إما ببعض المخلوقات وإما بإرادة الإنعام.

إذًا يؤولونها ويرجعونها إلى صفة الإرادة، إما يرجعونها إلى صفة الإرادة، وإما يؤولونها ببعض المخلوقات، ويخرجونها من كونها صفة.

✍ فنقول لهم: أنتم أثبتم صفة الإرادة، والإرادة من المخلوق لا تكون إلا ميل القلب لشيء يريده ويستكمل به، يرفع حاجته، فيكون محتاجًا، هل هذا الذي تثبتونه لله عَزَّ وَجَلَّ؟

قالوا: لا، نثبت له إرادةً تليق بكماله وجلاله.

أعوذ بالله! نفس المنطق لماذا لا تطرِّدونه وتريحوننا وتريحون أنفسكم؟ أثبتوا لله عَزَّ وَجَلَّ محبةً تليق بكماله وجلاله، وبالتالي لا تقعون في التشبيه، ولا تقعون في كذا، ثم لا تقعون في التعطيل، ثم لا تقعون أخيرًا في التشبيه.

على منطقهم: الإرادة التي يثبتونها لله عَزَّ وَجَلَّ لا يمكنهم أن يثبتوها لـ.. لأن فيها تشبيهًا، نحن لماذا نريد هذا وهذا؟ نستكمل بهذا المراد، أليس كذلك؟ نحتاج إليه. وهذه الإرادة هم يقولون: لا نثبتها لله عَزَّ وَجَلَّ.

إذًا إذا كان المنطق والمنطلق صحيحًا؛ تثبت جميع ما أثبته الله عَزَّ وَجَلَّ لنفسه، أو أثبته له رسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يستلزمك شيء من المحذور.

إذًا في هذه الآيات إثباتُ هذه الصفات التي تتعلق بمشيئته وقدرته، ونحن نثبتها ولا يلزمنا شيءٌ من المحذور.

إلى هنا ذكرَ الإمام الموفق بعضَ الآيات التي فيها إثبات بعض صفات الله عَزَّ وَجَلَّ، والصفات التي ذكرها بدأ بالصفات الخبرية، ثم ذكر الصفات الفعلية، وأكثر الصفات التي ذكرها هي الصفات الفعلية؛ مما يدل على أن الموفق رَحِمَهُ اللَّهُ أبعد ما يكون عن منهج المتكلمين؛ لأن الصفات الفعلية لا يثبتها جميع المتكلمين -كما ذكرتُ-، مثلًا الأشاعرة -أوائلهم- يثبتون الصفات الخبرية: الوجه، واليدين.

لو تقرأ فيما كتبه أبو الحسن الأشعري نفسه، أو فيما كتبه تلميذه الطبري، ابن الحسن الطبري، تُوفي سنة ٣٨٠هـ، هذا من أشهر تلاميذ الأشعري، لو تقرأ كلامه

في صفة الاستواء، حتى في صفة الاستواء، ولكن الاستواء الذي يثبتونه ليس هو الاستواء الذي نحن نثبته، ولكنهم يثبتونه، في صفة الوجه واليدين تستغرب، كل ما يرد به على المخالفين ينطبق على الأشاعرة المتأخرين، أوائلهم قبل الجويني كلهم يثبتون الصفات الخبرية، أما الصفات الفعلية فلا يثبتها أحد من المتكلمين، الصفات الاختيارية؛ لأنهم يقولون: هذه فيها حلول الحوادث بذاته سُبْحَانَهُ، وهذا يدل على كونه محدثًا وحادثًا، وهذا لا يجوز.

بعد هذا بدأَ يذكر بعض الأحاديث التي فيها إثباتُ بعض الصفات، طبعًا أولًا ينبه الإمام الموفق بهذا أن ما ورد في السنة وما ورد في القرآن كله يؤخذ به، لا يُميز بين ما ورد في القرآن وبين ما ورد في السنة، وهذا منهج أهل السنة والجماعة؛ لا يفرقون بين ما ورد في القرآن وبين ما ورد في صحيح السنة كما سينبه عليه الإمام الموفق، فالسنة في ذلك صنو القرآن، وكلاهما دليلان مستقلان لا يتعارضان ولا يتناقضان، بل يتأيدان، وبعضه يفسر بعضًا، السنة تفسر الكتاب.

إذًا ما ورد في السنة نحتج به، هذا من أهم ما يميز أهل السنة والجماعة، ولذلك كانوا مستحقين لهذا اللقب الشريف: أهل السنة والجماعة؛ لأنهم يحتجون بالسنة، كل ما صح عن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحتجون به في جميع مجالات الشريعة، في العقيدة وفي الشريعة، لا يميزون بين السنة والقرآن في الاستدلال.

يقول: (**ومن السُّنَّة: قول النبي** صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ينزل ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كل ليلة إلىٰ سماء الدنيا**»).

هذا الحديثُ من الأحاديث المتواترة، من الأحاديث التي تواترت عن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رواها أكثر من ثلاثين صحابيًّا، وأغلب رواياته في الصحيحين.

فمما ورد في ذلك: قوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ينزل كل ليلة حين يبقىٰ ثلث الليل الآخر، فيقول: مَن يدعوني فأستجيب له؟ مَن يسألني فأعطيه؟ مَن يستغفرني فأغفر له؟ حتىٰ يطلع الصبح**». وفي بعض الروايات: «**حتىٰ ينفجر الفجر**».

وهذا الحديث كما قلتُ من أشهر الأحاديث التي فيها إثباتُ صفةٍ فعلية اختيارية لله عَزَّ وَجَلَّ، وهناك رسالة خاصة لهذا الحديثِ ألفها شيخ الإسلام، وهي مطبوعة محققة، حققها الدكتور محمد الخميس، وهو في مجلد أكبر من هذا المحقق، سُئل شيخ الإسلام.

أحدهم وجَّه إليهم سؤالًا، وقال: استشكل في هذا الحديث من حيث أن ثلث الليل يختلف باختلاف البلدان، فإذا كان ثلث الليل هنا؛ بعد ذلك سيكون ثلث الليل بعدنا أو قبلنا، وهكذا، ولا يخلو منه الليل، وهذا يدل على أن الله عَزَّ وَجَلَّ دائمًا سيكون نازلًا.

وبيّن شيخ الإسلام.. طبعًا كلامه طويل، ولكن بيّن أولًا أن هذا السؤال نشأ عن التشبيه، أنتَ لما تتصور أن نزول الله عَزَّ وَجَلَّ مثل نزول المخلوقين، ومن هذا نشأ إذًا السؤال: هل يخلو العرش منه أو لا يخلو؟ هذا السؤال مبني على التشبيه.

الله عَزَّ وَجَلَّ أخبرنا أنه ينزل، وبالتالي إذا كنتَ في أي بلدٍ من البلدان، وقمتَ في ثلث الليل الآخر؛ ثق واعتقد وتيقن أن الله عَزَّ وَجَلَّ نازلٌ الآن، وهذا النزول يدل على القرب، كما ثبت أيضًا في أهل عرفة، وأن الله عَزَّ وَجَلَّ يستجيب لك، وأنه يقول: «مَن يسألني فأعطيه»، واعتقد هذا، هذا الذي يجب عليك، إذا كنتَ في بلدٍ من البلدان؛ فثق أن الله عَزَّ وَجَلَّ في هذا الوقت نازل.

كيف ينزل؟ كيف يكون هذا؟ كيف...؟ هذا سيدخلك في التشبيه، وبالتالي ستُحرم من هذا.

ولك أن تقارن هذا ببعض صفات الله عَزَّ وَجَلَّ، صفة السمع، ألسنا نحن نتصف بهذه الصفة؟ فإذا كان أمامك شخص تسمع له وتفهمه، إذا كانوا اثنين، ثلاثة، أربعة، عشرة... تفهم كلام الجميع؟ لا يمكن، إلا إذا كان واحد يرفع صوته..

طيب، ألف، ألفان، مائة ألف، مليون...؟ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ في لحظةٍ واحدة يسمع للجميع، ويجيب كل واحد منهم بما طلب، هل يدخل هذا في عقلِ.. يوم عرفة،

والناس بالملايين متوجهون لله عَزَّ وَجَلَّ كلٌّ بلغته، واللهُ عَزَّ وَجَلَّ يسمع للجميع، ويجيب الجميع، غير معقول هذا إذا أدخلنا العقل في هذا، وقلنا: كيف؟

وكذلك وردَ في حديث أن الله عَزَّ وَجَلَّ يحاسب العباد يوم القيامة في ساعة واحدة.

في هذه اللحظة: يستمع لهذا، ويسأل هذا، ويقر على هذا، ويقرر على.. في هذه اللحظة، الخلائق كلهم، لا يمكن أن يُفهم هذا بهذه المقاييس، إذا أدخلنا هذه المقاييس، بل بعض مخلوقات الله عَزَّ وَجَلَّ، ملك الموت الذي ورد في حديث البراء أنه هو الذي يخرج الروح من كل ميت، تصور أنه في لحظة من اللحظات، ملايين الناس يموتون أو عشرات الآلاف، هذا الملك هو الذي يخرج الروح ثم أعوانه تأخذ منه، هذا مخلوق من مخلوقات الله عَزَّ وَجَلَّ.

أنتَ إذا بدأتَ تفكر في هذا، وتدخل المقاييس العقلية البشرية؛ لا يمكنك أن تؤمن، وهذا الذي حصل من المعتزلة، المعتزلة من البداية أدخلوا عقولهم الملوثة في كل شيء، وبالتالي أغلب ما ورد في الحياة البرزخية لا يؤمنون بها؛ عذاب القبر، وكذلك كثيرٌ مما ورد في المعاد لا يؤمنون به، الميزان لا يؤمنون به، والصراط لا يؤمنون به، الحوض لا يؤمنون به.

لماذا؟ لأنهم أدخلوا عقولهم الملوثة في هذه الأمور، هذه كلها أمور غيبية، لا بد أن نؤمن بما ورد، ولا نقيس هذه الأمور بالمقاييس البشرية المتاحة، هناك بعض

مخلوقات الله عَزَّ وَجَلَّ الآن باعتراف -كما يسمونهم- العلماء لا تخضع للمقاييس البشرية، فكيف تُخضع ما يتعلق بالله عَزَّ وَجَلَّ، كيف تخضعها لما تزعم أنها بالعقل؟

فالسلامة في هذا والإيمان لا يتحقق إلا بالإيمان بما ورد عن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا تحاول التكييف.

ثم قال: (**وقوله: «يضحك الله إلىٰ رجلين قتل أحدهما الآخر ثم يدخلان الجنة»**).

أحدهما كان كافرًا، فقتل المسلم، واستشهد على يديه، ثم أسلم هذا الكافر، وجاهد في سبيل الله، وقتله آخر، والقاتل والمقتول كلاهما يدخلان الجنة.

قبل ذلك حديث تركته: «**يعجب ربك من الشاب ليس له صبوة**».

الصبوة: هي الميل إلى اللهو واللعب. الشاب وخاصة لما يكون في اكتمال شبابه عادةً يميل إلى اللهو واللعب، وبالتالي يرتكب ما يرتكب، ولكن الشاب الذي ليس له هذا الميل اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يعجب منه ويتعجب منه؛ لأن هذه صفة نادرة، الشاب ولا يكون له ميل إلى اللهو واللعب.

طبعًا هذا الحديث حسّنه كثير من الأئمة، وضعفه أيضًا كثير، ويبدو أنه لا يصح، يعني عدمُ صحته هو الأقرب إلى الصواب، واللهُ أعلم.

وصفة العجب والتعجب لله عَزَّ وَجَلَّ ثابتة في القرآن وفي السنة، أما الذي في القرآن فقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الصافات: ١٢]، قراءةُ نافع: ﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾، وهناك قراءة أخرى سبعية أيضًا: ﴿بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾﴾.

أيضًا قوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي ورد في صحيح البخاري أنه قال في قصة الصحابي الذي أطعم هو وزوجته ضيفهم في الليل حين استضافوه، ولم يكن معهم من الطعام ما يكفي، فأطفأوا السراج، وأوهموا الضيف أنهم يأكلون، أي: أطفأوا السراج حتى لا يرى أنهم لا يأكلون، وتركوا الضيف يأكل حتى شبع، ثم غدا هذا الصحابي على رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال له: «**لقد عجبَ ربك أو ضحك ربك من فلان وفلانة**». والحديث في **صحيح البخاري**، إذًا هذا صحيح، وفيه إثبات التعجب لله عَزَّ وَجَلَّ.

وأهل الكلام قالوا: بما أن التعجب لا يكون إلا عن مفاجأة.. لماذا يتعجب الواحد منا؟ إذا فُوجئ بشيء، ما كان يتوقع لجهله، لو كان عالمًا لم.. وبالتالي الله عَزَّ وَجَلَّ لا نثبت له هذا الصفة، ننزهه عما أثبته لنفسه! نفس الشيء: التشبيه أولًا، ثم التعطيل.

التعجب الذي يكون من الإنسان قد يكون من الجهل، وقد يكون من غيره، ولكن الله عَزَّ وَجَلَّ لما أثبت التعجب لنفسه، ولما أثبت هذه الصفة لنفسه؛ هل تظن أنه أثبتها عن جهل؟ نفس الشيء: أثبتها له كما تليق به، واللهُ عَزَّ وَجَلَّ ليس

جاهلًا، لا يجهل شيئًا، هو عالمٌ بكل ما يقع في الخلق، مع ذلك أثبتها لنفسه، إذًا أثبتها له كما تليق به، وهذا هو الذي يقرره أهل السنة، أثبتها كما تليق بكماله وجلاله.

يقول المؤلف هنا: (**فهذا وما أشبهه مما صح سنده**).

(**فهذا وما أشبهه**)؛ لأن ما ذكره هذا قليل من كثير، قليل جدًّا، تمثيل، ذكرَ بعض الأمثلة من الصفات الخبرية ومن الصفات الفعلية الاختيارية.

يقول: (**فهذا وما أشبهه مما صح سنده، وعُدلت رواته**).

هذا من أهم القيود: (**مما صح سنده، وعُدلت رواته**)، نحن لما نتحدث عن السنة التي نثبت بها الصفات لله عَزَّ وَجَلَّ؛ نتحدث عن السنة الصحيحة، وإذا صحت فسواء كانت متواترة أو آحاد، نحن نثبت بها الصفات، المهم أن يكون الحديث صحيحًا.

(**مما صح سنده، وعُدلت رواته**). هذا الذي نتحدث عنه، المتكلمون لما يتحدثون عن أخبار الآحاد يقولون: رواية عن الإمام أحمد أن أخبار الآحاد تفيد اليقين. ثم يقولون: وهذا يستلزم أن يكون كل خبر يفيد اليقين.

نحن نتحدث عن كل خبر أو الخبر الصحيح؟ نحن نتحدث عن خبر الواحد الصحيح، ولا نتحدث عن كل خبر.

(**نؤمن به**): نؤمن به كما نؤمن بالقرآن.

(**ولا نرده**): كما يرده المتكلمون. المتكلمون يردون السنة جملةً، لا يستثنون منها شيئًا، يردونها بحجة أنها أخبار آحاد، هذه الحجة عندهم.

قالوا: لأن العقيدة لا تُؤخذ مسائلها إلا من المصادر اليقينة، وأخبار الآحاد لا تفيد إلا الظن، وبالتالي لا يُؤخذ بها في العقيدة. يردونها جملةً.

(**ولا نجحده**): أيضًا مثل ما يكون من المعطلة، حتى ولو أخذوه، حتى ولو قبلوه؛ يجحدون المدلول، ينفون المدلول والمعنى.

(**ولا نتأوله بتأويل يخالف ظاهره**): هذه الجملة في هذا الكتاب -في كتاب اللمعة- من أهم الجمل التي تدل على ما يريده الموفق، فالموفق رَحِمَهُ اللَّهُ لما يقول: (**ولا نتأوله**) يقصد هذا التأويل، لا نفسر؛ يقصد هذا التفسير الذي يخالف ظاهر النصوص. احفظوا هذه الجملة: (**ولا نتأوله بتأويل يخالف ظاهره**)؛ إذًا التأويل والتفسير الذي يرفضه ويرده الموفق هو ذلك التفسير الذي يُزعم، وذلك التأويل الذي يخالف ظاهره.

وهذا أيضًا ردٌّ على مَن يقبل السنة ولكنه يعطل مدلولها. يقول لك: هذا الحديث في الصحيحين وأنا آخذ بهذا الحديث ولا أرده، ولكن معناه فيه كيت وكيت، فيه هذه المحاذير التي لا تليق بالله عَزَّ وَجَلَّ، وهذا رد، هذا التأويل كله رد، وبالتالي هذا التأويل ليس تأويلًا، وإنما تحريف.

ثم يقول: (**ولا نشبهه بصفات المخلوقين**).

هذه الجمل التي سبقت فيها رد على مَن؟ على المعطلة، منهج أهل السنة دائمًا بين منهجين باطلين، منهج بين منهجين، ومسلكٌ بين مسلكين، منهج أهل السنة بين: تعطيل وهو نفي، وتشبيه.

وهنا يرد على الباطل الآخر: (**ولا نشبهه بصفات المخلوقين، ولا بسمات المحدثين**).

المحدثون: هم المخلوقات. والسمات: جمعُ سِمة، وهي العلامة.

والصفات والسمات بمعنى واحد، ولكن للتنويع في العبارة.

(**ولا نشبهه بصفات المخلوقين، ولا بسمات المحدثين**) أي: الصفات التي نثبتها لله عَزَّ وَجَلَّ، بعد ما نعتبر الأدلة ونعتمدها، ونثبت مدلولاتها، ليس معناه أننا نشبه صفات الله عَزَّ وَجَلَّ بصفات المخلوقين، لا، نثبتها كما تليق بالله عَزَّ وَجَلَّ، وبكماله وجلاله.

(**ونعلم أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا شبيه له ولا نظير** ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١]).

في آيةٍ واحدة تلخيص لما ذكره الموفق في هذه الجمل، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾، نثبتُ له السمع والبصر، ونثبت له أنه له هذه الأسماء، ولكن هذا الإثبات ليس فيه تشبيه، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ﴾.

ثم قال: (**وكل ما تُخيل في الذهن**) هذه الجملة فيها رد على التكييف.

(**وكل ما تُخيل في الذهن أو خطر بالبال، فإن الله تَعَالَىٰ بخلافه**) إذا أردتَ أن تصل إلى كيفية صفات الله عَزَّ وَجَلَّ، وبدأتَ تسترسل في... وتقول: أتصور وأتخيل صورةً من أجمل ما تكون لصفات الله عَزَّ وَجَلَّ، يقول: فإن الله تَعَالَىٰ بخلافه؛ أي: الله عَزَّ وَجَلَّ أعظم وأجل مما يخطر في بالك.

لا يمكنك أن تتخيل كيفيات صفات الله عَزَّ وَجَلَّ، كل ما تخيلتَ أجمل ما تعتقده فإن الله عَزَّ وَجَلَّ أعظم وأجل مما يخطر ببالك، لأنه كما ذكر شيخ الإسلام وغيره الحديث في الصفات كالحديث في الذات، نحن لم نعلم كيفية ذات الله عَزَّ وَجَلَّ، وبالتالي لم نعلم كيفيات صفات الله عَزَّ وَجَلَّ، فلا تحاول.

لا بد أن تؤمن بما ورد من الصفات في الكتاب والسنة، وتتدبر في معانيها، وتتعبد بها، أما الكيفيات: كيفية نزول الله عَزَّ وَجَلَّ، وكيفية استواء الله عَزَّ وَجَلَّ؛ لا يمكنك أن تعلمها، حتى ولو أردتَ أن تتصور أعظم وأجمل ما يمكن؛ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أعظم وأجل مما يخطر ببالك.

ثم قال: (**ومن ذلك**) الضمير هنا إما أنه يرجع إلى قوله فيما سبقَ: (**فمما جاء من آيات الصفات قول الله عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧])، ومما جاء، ومما جاء.. ثم قال بعد ذلك: (**ومن السُّنَّة**)، الضمير إما أن يرجع إلى هناك؛ أي: ومما جاء في الكتاب والسنة من إثبات صفات الله عَزَّ وَجَلَّ قوله تَعَالَىٰ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ۝﴾، الضمير إما أن يرجع إلى هناك، أو الضمير

يرجع إلى هذا الذي ذكرته الآن: "**وكل ما تخيل في الذهن أو خطر بالبال فإن الله** تَعَالَىٰ **بخلافه، ومن ذلك**.." أي: ومن ذلك الذي لا يمكنك أن تتخيل كيفية صفاته، من ذلك: صفة الاستواء، لأن الله عَزَّ وَجَلَّ أثبت لنفسه صفة الاستواء، ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ۝٥﴾.

أنتَ الآن تبدأ تحاول أن تفهم كيفية الاستواء، مهما تصورتَ وتخيلتَ وتوهمتَ؛ ما يمكنك أن تصل إلى كيفية الصفة؛ لأن العلم بكيفية الصفات تابع للعلم بكيفية الذات.

فمَن سألكَ وقال لك: كيف ينزل؟ أنتَ الآن أثبت صفة النزول، تقول له: لستُ أنا الذي أثبته، تصحح له، وإذا قال لك: أنتَ أثبت صفة النزول، أو أنتَ أثبت هذه الصفة التي جاءت في الكتاب والسنة واعتقدتها، كيف نزل؟ وكيف ينزل؟ قل له: كيف ذاته؟

إذًا الحديث في الصفات تابع للحديث في الذات كما ذكر هذا وقرره وفصله وأطال فيه شيخ الإسلام في مقدمة التدمرية، "**القول في الصفات كالقول في الذات**"، هذه قاعدة.

أيضًا قاعدة أخرى: "**القولُ في بعض الصفات كالقول في البعض**"، مَن يثبت بعض الصفات وينكر بعض الصفات يُقال له: القول في بعض الصفات كالقول في بعض الصفات، فإذا كان ما تثبته لائقًا بالله عَزَّ وَجَلَّ؛ فما تركته أيضًا مما يليق بالله

عَزَّ وَجَلَّ، وإن لم يكن ما تنفيه لائقًا بالله عَزَّ وَجَلَّ؛ فما تثبته أيضًا لا يليق بالله عَزَّ وَجَلَّ، فإما أن تثبت الجميع أو تنفي الجميع.

أيضًا مَن ينكر بعض الصفات أو ينكر الصفات كاملةً لأجل توهم تشبيه؛ قل له: القول في الصفات كالقول.. كما أنك أثبتَ ذاتًا تليق بكماله وجلاله، فأثبته له صفاتٍ على هذا النحو.

فهنا إما يكون الضمير راجعًا -كما قلتُ- إلى السابق، إلى الجمل السابقة، أو إلى ما ذكره هنا.

(**ومن ذلك قوله:** ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ۝٥﴾ [طه: ٥]) اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أثبت لنفسه هذه الصفة، وذكر إثباتها في سبعِ آيات من القرآن الكريم، فماذا سيكون موقفنا من هذه الصفة؟ مثل ما تعلمنا إلى الآن، نثبتها، ولا نعبأ بترهات المتكلمين الذين ينزهون الله عَزَّ وَجَلَّ بردِّ كلامه، سواء صرحوا به أو لم يصرحوا به، ما هكذا يكون التنزيه، تنزه الله عَزَّ وَجَلَّ برد كلامه، وبرد كلام رسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟! ما هكذا يكون التنزيه.

ويقولون: بما أن الاستواء فيه احتياج وافتقار، مَن يستوي يكون محتاجًا إلى المستوى عليه، فإذا خر هذا المستوى عليه يخر المستوي، إذا كان مستويًا على الخيل والفرس، وإذا خر هذا، أو إذا كان مستويًا على السقف، إذا خر هذا يخر المستوي.

فقالوا: بما أن هذا فيه احتياج وافتقار، واللهُ عَزَّ وَجَلَّ منزه أنْ ننسب إليه هذا الاحتياج، ولذلك ما نثبت هذه الصفة. سبحان الله! ما تثبت هذه الصفة لأجل ما توهمته من التشبيه.

كثيرٌ من العلماء من أجمل ما ذكروه في هذا: ابن القيم في مقدمته النونية، وأيضًا ذكره الشيخ الشنقيطي في التفسير في كلامٍ جميلٍ جدًّا جدًّا؛ أن هؤلاء ممن يتوهم التشبيه في كلام الله عَزَّ وَجَلَّ يقعون في ذلك؛ لما في قلوبهم من أقذار التشبيه، لا بد أن تصفي قلبك.

ولا بد أن تتعلم كيف تفهم كلام الله عَزَّ وَجَلَّ على ما يليق به، بل عمومًا أي صفة تُضاف وتُنسب إلى أي موصوف مما لا يجهله العوام؛ أن الصفة تُفهم حسب الموصوف والمضاف إليه، الآن علمُ الطفل الصغير، علمُ أبيه حتى ولو كان عاميًّا، علمُ شيخ من الشيوخ، علمُ مثلًا الشيخ ابن عثيمين، علمُ شيخه الشيخ ابن باز، علمُ مثلًا شيخ الإسلام ابن تيمية، أليس هناك تفاوت؟ علمُ الإمام أحمد؟ أليس هناك تفاوت؟ هذا التفاوت كيف فهمته؟ حسب المضاف إليه، بما أُضيف وبما نُسب علمتَ قدر هذا العلم.

الذي يقول: علمُ فلان. تقول له: هذا فيه قدح في فلان؛ لأن هذا العلم ثابت أيضًا للطفل، يستقيم هذا؟ ما يستقيم، هذا علمه بقدره وبكفاءته، وعلمُ هذا حسب.. كما يقولون: على قده.

وهكذا يكون فهمُ كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، وفهمُ كلام رسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وخاصةً فيما يتعلق بصفاته وبأسمائه.

ثم غالبهم اتفقوا وقالوا: الاستواء المراد به الاستيلاء. الاستواءُ لا يليق بالله عَزَّ وَجَلَّ؛ لأن فيه احتياجًا وافتقارًا، وإنما الذي يليق به الاستيلاء.

والاستيلاء كيف يكون؟ كيف يحصل الاستيلاء؟ ليس بسهولة، بعد مغالبةٍ، اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أثبت هذا الاستيلاء في كثيرٍ من الآيات.

وسبحان الله! مَن الذي غالب الله عَزَّ وَجَلَّ على عرشه حتى استولى عليه؟ لو كان في آية واحدة يثبت هذا الاستيلاء ويتمدح به، يذكره في معرض التمدح في آياتٍ أخرى، وفيهم آية أنه غلب على خلقٍ من مخلوقاته! سبحان الله! اللهُ غلبه على عرشه، هل هذا يليق بالله عَزَّ وَجَلَّ؟! هم قالوا: لا يليق.

طيب، ما هو هذا الاستيلاء الذي تثبتونه؟

قالوا: استيلاءٌ يليق بكماله وجلاله.

ما الذي نقول لهم؟ نقول لهم: يا أخي، نزِّه كلام رب العالمين، وكلام أفصح الخلق صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وافهم من كلامهما ما يليق بالله عَزَّ وَجَلَّ، ولا يكون إلا كل خير، هذا التشبيه الذي تقع فيه، هذا لأجل توهم هذا التشبيه الذي تتوهمه دائمًا.

اللفظ الذي تأتي به: هذا ما شاء الله منزّه، وليس فيه نسبة ما لا يليق بالله عَزَّ وَجَلَّ، أما اللفظ الذي استعمله الله عَزَّ وَجَلَّ ، هذا يوهم التشبيه!

إذًا أقل ما نطالبكم أن يكون تعاملك مع هذه الألفاظ مثل ما هو تعاملك مع اللفظ الذي جئتَ به.

وأيضًا إذا نظرنا إلى اللغة، نذكر الخطوة الأولى التي ذكرناها من الخطوات الأربعة: هل الاستواء بمعنى الاستيلاء جاء في اللغة؟

ما جاء في اللغة، ولكنهم ذكروا بيتًا لمجهول بن مجهول، قال فيه:

قد استوىٰ بشرٌ علىٰ العراق

من غير سيفٍ ودم مهراقِ

استوى بمعنى استولى. مَن هذا القائل؟ في اللغة لم يأتِ كما ذكر أئمة اللغة، أئمة اللغة ذكروا أن اللغة لم يأتِ فيها الاستواء بمعنى الاستيلاء.

الخطوة الثانية: لماذا لا تثبت الاستواء لله عَزَّ وَجَلَّ؟ ما المانع عندك؟ وما هو دليل الصرف؟ نفس الشيء: قرينة عقلية. هذا الدليل الموحد عندهم، قرينة عقلية؛ فإن هذا لا يليق بالله عَزَّ وَجَلَّ. وهكذا.

نكتفي بهذا القدر.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ. اللّٰهم اغفر لنا ولشيخنا ولمشايخه وللحاضرين من المسلمين والمسلمات يا رب العالمين.

قال الإمام: ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ في كتابه **لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد** -في معرض ذِكر الأسماء والصفات-:

فهذا وما أشبهه مما صح سنده وعُدلت رواته نؤمن به، ولا نرده، ولا نجحده، ولا نتأوله بتأويل يخالف ظاهره، ولا نشبهه بصفات المخلوقين، ولا بسمات المحدثين، ونعلم أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا شبيه له ولا نظير، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾، وكل ما تخيل في الذهن أو خطر بالبال فإن الله تَعَالَىٰ بخلافه.

ومن ذلك قوله تَعَالَىٰ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾﴾، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦]، وقول النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك**»، وقال للجارية: «**أين الله؟**». قالت: في السماء. قال: «**أعتقها فإنها مؤمنة**». رواه مالك بن أنس، ومسلم، وغيرهما من الأئمة. وقال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لحصين: «**كم إلها تعبد؟**» قال: سبعة، ستة في الأرض وواحدا

في السماء. قال: «**من لرغبتك ورهبتك؟**». قال: الذي في السماء. قال: «**فاترك الستة واعبد الذي في السماء، وأنا أعلمك دعوتين**». فأسلم، وعلمه النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقول: «**اللهم ألهمني رشدي، وقني شر نفسي**».

وفيما نقل من علامات النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه في الكتب المتقدمة: أنهم يسجدون بالأرض ويزعمون أن إلههم في السماء. وروى أبو داود في سننه أن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن ما بين سماء إلىٰ سماء مسيرة كذا وكذا...**». وذكر الخبر إلى قوله: «**وفوق ذلك العرش، والله سُبْحَانَهُ فوق ذلك**»، فهذا وما أشبهه مما أجمع السلف رحمهم الله على نقله وقبوله، ولم يتعرضوا لرده ولا تأويله، ولا تشبيهه ولا تمثيله.

سئل الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ اللَّهُ فقيل: يا أبا عبد الله ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ۝﴾ كيف استوى؟ فقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. ثم أمر بالرجل فأخرج.

فصلٌ: من صفات الله تَعَالَىٰ الكلام.

ومن صفات الله تَعَالَىٰ أنه متكلم بكلام قديم يسمعه منه من شاء من خلقه، سمعه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ منه من غير واسطة، وسمعه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومن أذن له من ملائكته ورسله، وأنه سُبْحَانَهُ يكلم المؤمنين في الآخرة ويكلمونه، ويأذن لهم فيزورونه، قال الله تَعَالَىٰ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]

وقال سُبْحَانَهُ: ﴿يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾ [الأعراف: ١٤٤]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣] وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١] وقال سُبْحَانَهُ: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى ۝١١ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ [طه: ١١ - ١٢]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [طه: ١٤] وغير جائز أن يقول هذا أحد غير الله تَعَالَىٰ.

وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (**إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء**)، روى ذلك عن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وروى عبد الله بن أنيس عن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**يحشر الله الخلائق يوم القيامة عراة حفاة غرلا بهما، فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك أنا الديان**»، رواه الأئمة، واستشهد به البخاري.

وفي بعض الآثار أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ليلة رأى النار فهالته ففزع منها، فناداه ربه: يا موسى، فأجاب سريعًا استئناسا بالصوت، فقال: لبيك لبيك، أسمع صوتك ولا أرى مكانك، فأين أنت؟ فقال: «**أنا فوقك وأمامك وعن يمينك وعن شمالك**»، فعلم أن هذه الصفة لا تنبغي إلا لله تَعَالَىٰ. قال: كذلك أنت يا إلهي، أفكلامك أسمع، أم كلام رسولك؟ قال: «**بل كلامي يا موسىٰ**».

التعليق:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، نحمده ونصلي على رسوله الكريم؛ أَمَّا بَعْدُ: -

سبق أن ذكرنا صفة الاستواء عند كلام المؤلف: (**ومن ذلك قوله** تَعَالَىٰ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ۝٥﴾)، تحدثنا عن مذهب أهل السنة والجماعة في هذه هي الصفات، وعن تأويل أهل البدع لمثل هذه الصفات.

من هنا بدأ الإمام الموفق رَحِمَهُ اللَّهُ في ذكر الأدلة على إثبات علو الله عَزَّ وَجَلَّ، من هنا إلى بداية صفة الكلام، إلى قوله: من صفات الله تَعَالَىٰ أنه متكلم بكلام قديم؛ كل هذا يتعلق بصفة العلو.

وصفة العلو من الصفات الذاتية، إذ يتصف بها الله عَزَّ وَجَلَّ أزلًا وأبدًا، وهي من الصفات الأزلية والذاتية، وصفة الاستواء صفة فعلية اختيارية، وكل الأدلة التي وردت في إثبات صفة الاستواء هي من أدلة صفة العلو؛ لأن الاستواء يدل على العلو، ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ۝٥﴾؛ أي علا وارتفع، هذا يدل على العلو، وبينهما كما قلت فرق؛ صفة العلو صفة أزلية ذاتية، اتصف الله عَزَّ وَجَلَّ بها أزلًا وأبدًا، أما صفة الاستواء فهي فعلية اختيارية.

وذكرنا تأويل المتكلمين، وبقي أن نشير إلى تأويلهم للعرش، ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ۝٥﴾؛ العرش هو أعظم المخلوقات، وقد وصف الله عَزَّ وَجَلَّ عرشه بأنه

عظيم، ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة: ١٢٩]، والعرش وردت هناك أدلة تدل على عظم هذا المخلوق، ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾[غافر:١٥] الله عَزَّ وَجَلَّ تمدح بالاستواء عليه، وتمدح بأنه أيضًا خلق هذا المخلوق، وهو مخلوق عظيم، أعظم المخلوقات عمومًا.

ورد في الحديث أن الكرسي في العرش كحلقةٍ ملقاة بأرض فلاة، نسبة الكرسي إلى العرش كحلقة ملقاةٍ بأرض فلاة، ما هي تلك النسبة التي تشغلها هذه الحلقة؟ ولا شيء.

أيضًا ورد في الحديث: «**ما السَّمٰوات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبع أُلقيت في ترس**»، الترس الذي يُتترس به، دراهم سبعة أُلقيت فيه، ما الذي تشغله؟

إذًا السَّمٰوات السبع والأرض كلها نسبتها إلى الكرسي هذه نسبة ضئيلة، ونسبة الكرسي إلى العرش هذه نسبة ضئيلة، إذًا العرش هو أعظم المخلوقات، والله عَزَّ وَجَلَّ وصف العرش بصفاتٍ عظيمة، والنصوص التي فيها ذكر أوصاف العرش كثيرة، مع ذلك المتأولون المتكلمون أوّلوه، بعضهم قال: العرش معناه العرش هذا الذي نثبته، وبعضهم قال: العرش معناه سرير الملك، ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾﴾؛ أي استولى على ملكه، العرش معناه: الملك أو سرير الملك.

وهذا كله يدل على تخبط هؤلاء، يعني هذه الأوصاف التي وردت في صفة العرش كلها تبطلها لأجل هذه الاستشكالات التي تسلّط الشيطان عليهم بها.

وقوله: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ هذا أيضًا من أدلة إثبات العلو لله عَزَّ وَجَلَّ، ﴿في السماء﴾، السماء معناها العلو، من سما يسمو، ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾؛ أي: أأمنتم من هو في العلو، وفي بمعنى العلو، وهذا يأتي كثيرًا، كما في قوله تَعَالَىٰ: ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٢٦]؛ أي على الأرض، وكذلك قوله سُبْحَانَهُ: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الروم: ٩]، وكذلك: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١١]؛ أي: على الأرض، وكذلك قوله سُبْحَانَهُ حكايةً لقول فرعون: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]، والسماء كما قلت تأتي بمعنى العلو، سما فلان بمعنى ارتفع، ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾، إذًا هذا يدل على علو الله عَزَّ وَجَلَّ.

(**وقول النبي** صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك**»)، هذا في حديث الرقية، والحديث ضعّفه كثيرٌ من العلماء، واستشهاد الموفق به يدل على أنه يستدل به، هذا معنى أنه يقويه، والصحيح أنه ضعيف، ويستشهد به على أنه حسن عنده، وهو ضعيف.

(**وقال**) النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (**للجارية**)، قال لها: «**أين الله؟**» سألها بهذا السؤال، سألها في معرض الاختبار والامتحان، والجارية أجابته بقولها، (**قالت: في**

السماء)، هذا يدل على أنها لم تكن خرساء؛ لأن المتكلمين تتابعوا على القول بأن الجارية كانت خرساء، ولذلك أراد النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يستكشف عن عقيدتها، فقال لها: أين الله؟ ليعلم هل هي من عبدة الأوثان، أو هل هي ممن يعبد الله عَزَّ وَجَلَّ؟ ولما أشارت أنه في السماء، علم أنها ليست من عبدة الأوثان، لو كانت تعبد الأوثان كانت تشير إلى الأرض، ولما أشارت إلى السماء علم أنها ممن يعبد الله عَزَّ وَجَلَّ، هكذا يقولون، وهذا كله باطل.

السؤال هنا واضح: «أين الله؟»، والجواب واضح، (قالت: في السماء)، وهذا الحديث في صحيح مسلم بهذا اللفظ، مما يدل على أنها لم تكن خرساء، هناك رواية أخرى في السنن، فيها حكاية عن جارية خرساء، وتلك رواية أخرى، وهذا السؤال هنا: أين الله؟ هذا السؤال أيضًا محرج بالنسبة للمتكلمين؛ لأنهم يقولون: أينية الله عَزَّ وَجَلَّ هذا مما ينزه عنه الله عَزَّ وَجَلَّ؛ لأن السؤال بأين هذا يدل على أن له مكانًا، هكذا يقولون، لا يهمنا هذا يدل على ماذا، يهمنا أن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سأل بهذا السؤال، ويُشرع لنا أن نسأل بهذا السؤال، وسألها متى؟ سألها في موضع الاختبار، وسأل من؟ سأل هذه الجارية، التي ليست عالمة فقيهة حتى تتنبه إلى مواضع التشبيه والتجسيم، سألها هكذا: «أين الله؟». (قالت: في السماء. قال: «أعتقها فإنها مؤمنة» أقرها على الجواب.

الإحراج هنا بالنسبة للمتكلمين في السؤال، وفي الجواب، وفي الحكم، السؤال بـ (أين الله)، وهم يذكرون أن السؤال بـ (أين الله) لا يجوز، بل يقولون: إن هذا كفر.

كونه لا يجوز أجمعوا عليه، طيب أين هذا الحديث والعمل بهذا الحديث؟ هذا خبر واحد، ويُدفع بستين معولًا، خبر واحد، وظني الدلالة، وظني الثبوت، وأخيرًا ظواهر لفظية في مقابل قواطع عقلية، فتُدفع. سبحان الله! هذا آخر شيء، ظواهر لفظية في مقابل قواطع عقلية، فماذا تفعل؟ تتردد؟ لا، وهكذا يقولون.

الإحراج فيها في ثلاث مواضع: في السؤال وفي الجواب وفي الحكم.

وهناك رسالة لأحد المشايخ، أظنها للشيخ مشهور حول هذا الحديث، حول حديث الجارية، جمع فيه طرق هذا الحديث.

بعض المبتدعة مثل الكوثري يرى أن هذا الحديث ضعيف، مع أنه أخرجه من؟ أخرجه الإمام مسلم، ويقول: أن فيه تسع علل، ليست علتان، لا، يقول: تسع علل.

يقول: (**رواه مالك بن أنس، ومسلم، وغيرهما من الأئمة**)، وهذا الحديث -كما قلت- صريح، ووجوه الدلالة فيه كثيرة، ثلاثة.

(**وقال النبي** صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لحصين**) هذا والد لعمران بن حصين، قال له: («**كم إلها تعبد؟**»)، كما نعرف أن الرب عندهم واحد، ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، ولكن الآلهة عندهم كُثر التي

يعبدونها، فقال له: («كم إلهًا تعبد؟». قَالَ: سبعة) هذا واقعهم (ستة في الأرض، وواحدًا في السماء، قال: «ومن لرغبتك ورهبتك؟») أي من لرجائك وخوفك؟ أنت لما تكون رغبتك ملحة، من الذي تتوجه إليه، وتعتقد أنه قدير على تلبية طلبك، وكذلك خوفك، لما يعظُم خوفك، من الذي ترتجي إليه؟ قال: الذي في السماء، الستة هؤلاء كثُر.

✍ **الشاهد هنا**: أن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقره على قوله: (الذي في السماء)، هذا أيضًا وجه الاستشهاد؛ لأن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يقل له: أنت مجسم، أنت حشوي، يستلزم من كلامك أن يكون الله عَزَّ وَجَلَّ محدودًا، وأن يكون في جهة، وأن يكون في حيز ما، (قال: «فاترك الستة، واعبد الذي في السماء») هذا تأكيد بعد التقرير «واعبد الذي في السماء»، ثم قال له: («وأنا أعلمك دعوتين»، فأسلم، وعلمه النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقول: «اللهم ألهمني رشدي، وقني شر نفسي»).

✍ **الشاهد هنا**: في تقريره، في إقراره صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له على قوله: في السماء، وأيضًا في قوله: «واعبد الذي في السماء».

(وفيما نُقل من علامات النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأصحابه في الكتب المتقدمة: أنهم يسجدون للأرض، ويزعمون أن إلههم في السماء) يقول: مما ذُكر

عن أمة النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من الأوصاف التي ذُكرت عنهم: أنهم يسجدون في الأرض، ويزعمون، الزعم يأتي من الكذب، فلان يزعم، هذا يكون فيه إشارة أنه يكذب، ويأتي الزعم أيضًا لليقين، ويأتي أيضًا للخبر المجرد، وهذا هو المراد هنا، ويزعمون أي: يقولون، يدعون أن إلههم في السماء.

➢ وجه الشاهد: هنا أنهم يعترفون بعلو الله عَزَّ وَجَلَّ، وأن إلههم في السماء، وهذا الأثر مروي عن الصحابة عدي بن عميرة بن فروة العبدي، رواه عنه ابن قدامة في كتابه العلو، وروى عنه أيضًا الذهبي في كتابه: العرش، كتاب العلو.

طبعًا الكتب التي أُلفت في العلو كثيرة جدًّا؛ منها: كتابٌ لابن قدامة نفسه مطبوع محقق، ومنها: كتاب العلو للذهبي، مطبوع في مجلدين، ومنها كتاب العرش أيضًا له، والكتب المؤلفة في العلو كثيرة.

أيضًا (**روىٰ أبو داود في سننه أن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن ما بين سماء إلىٰ سماء مسيرة كذا وكذا...»**).

الحديث طويل، هذا الحديث يُسمى "**حديث الأوعال**".

(**وذكر الخبر إلىٰ قوله: «وفوق ذلك العرش»**) فوق السماوات، فوق ذلك العرشُ (**«والله سُبْحَانَهُ فوق ذلك»**) هذا أيضًا من أصرح الأدلة على كون العرش سقف المخلوقات، وأن الله عَزَّ وَجَلَّ فوق العرش.

وهذا الحديث اختلف العلماء في الحكم عليه، وأغلب المحدثين يضعفونه، وبعضُ الأئمة ومنهم شيخ الإسلام يحسنه، وشيخ الإسلام يذكره دائمًا، ذكره في الواسطية، وفي المناظرة التي كانت حول الواسطية، اعترضوا عليه، وقالوا: هذا حديث ضعيف، وذكروا أنه يدور على فلان، وأنه ضعيف، وذكر شيخ الإسلام أن له طريقًا أخرى، وأن الحديث أخرجه الإمام ابن خزيمة رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب التوحيد، وابن خزيمة اشترط أن يخرج في كتابه الأحاديث الصحيحة فقط، هذا رأيه، وأغلب المحدثين يضعّفون هذا الحديث.

يقول: (**فهذا وما أشبهه مما أجمع السلف رَحِمَهُمُ اللهُ علىٰ نقله وقبوله، ولم يتعرضوا لرده ولا تأويله، ولا تشبيهه ولا تمثيله**) لا ننسى قيده الذي سبق: (**ولا نتأوله بتأويل يخالف ظاهره**) هذا لا ننساه، هنا يقول: (**ولم يتعرضوا لرده ولا تأويله**) أي تأويل يقصده؟ الذي يخالف ظاهره (**ولا تشبيهه ولا تمثيله**) كل هذه نثبتها، ونثبت العلو لله عَزَّ وَجَلَّ.

طبعًا الأدلة التي ذكرها الموفق هنا هي بعض الأدلة، قليلة جدًّا، أنا أشير إلى بعض الأدلة التي أشار إليها الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، في النونية، أشار هنا إلى الأدلة، أشار إشارة، يعني لم يذكرها كلها، ولكنه أشار.

يقول هنا: "**فصلٌ في الإشارة إلى الطرق النقلية الدالة على أن الله تَعَالَىٰ فوق سماواته على عرشه**".

يقول:

ولقد أتانا عشرُ أنواع من المنقول في فوقية الرحمن

كم صارت؟ عشرةٌ، "**مع مثلها أيضًا**" كم صارت؟ "**تزيد بواحد**" واحد وعشرون، "**ها نحن نسردها بلا كتمان**"، واحد وعشرون نوعًا، وكل نوعٍ فيه عدد من الأدلة.

منها استواء الرب فوق العرش في سبعِ أتت في محكم القرآن

الأدلة التي فيها ذكرُ الاستواء، وهذه يقول: سبع آيات. هذا النوع الأول.

النوع الثاني:

هذا وثانيها صريح علوه ولـه بحكم صريحه لفظان
لفظ العلي ولفظة الأعلىٰ فةً أتت فيه لقصد بيان

اللهُ عَزَّ وَجَلَّ من أسمائه العلي، ومن أسمائه الأعلى.

يقول:

هذا وثالثها صريح الفوق حوبًا بمن وبدونها نوعان
إحداهما هو قابل التأويل والأ صل الحقيقة وحدها ببيان
فإذا ادعىٰ تأويل ذلك مُدَّع لم تُقبل الدعوىٰ بلا برهان

إلى آخره.

هذا النوع من الدليل أن الله عَزَّ وَجَلَّ ذكر الفوقية، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، أيضًا ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨]، هذا نوع، طبعًا في كل نوع يفصل، أنا أذكر بداية الـ..

هـذا ورابعها عـروج الـروح والـ ... أمـلاك صـاعدة إلـىٰ الـرحمن

هذا نوعٌ، وهذا النوع أيضًا فيه:

ولقـــد أتـــىٰ في ســـورتين ... اشـــتملت علـــىٰ التقـــدير

هنا يقول: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤﴾ [المعارج: ٤]، وفي سورة السجدة: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ۝٥﴾ [السجدة: ٥].

لماذا هنا خمسون ألفًا وهناك ألف؟ ذكر في كلامٍ طويل الجمع بينها.

هـــذا وخامســـها صـــعود ... بالطيبـــات إليـــه والإحســـان
وكـــذا صـــعود الباقيـــات ... ت إليـــه مـــن أعمـــال ذي
وكـــذا صـــعود تصـــدقٍ مـــن ... أيضًـــا إليـــه عنـــد كـــل أوان
وكـــذا عـــروج ملائـــك قـــد ... منـــا بأعمـــال وهـــم بـــدلان
فإليـــه تعـــرج بكـــرة وعشـــية ... والصـــبح يجمعهـــم علـــىٰ

هذا نوعٌ.

من الأدلة في ذلك: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

أيضًا قول النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَن تصدق بعدل تمرةٍ من كسبٍ طيب، ولا يصعد إلىٰ الله إلا الطيب؛ فإن الله يتقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه، حتىٰ تكون مثل الجبل» أخرجه البخاري.

أيضًا «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر، ثم يعرجُ الذين باتوا فيكم فيسألهم -وهو أعلم بهم- فيقول: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون».

أيضًا في قوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تفضلُ صلاة الجماعة...» طبعًا هذا في صحيح مسلم «تفضل صلاة الجماعة صلاة أحدكم وحده بخمسٍ وعشرين جزءًا، وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر». ثم يقول أبو هريرة: فاقرؤوا إن شئتم: ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾ [الإسراء: ٧٨]. الحديث أخرجه البخاري.

«أيضًا إن الله عَزَّ وَجَلَّ لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل» إلى آخره، هذا نوعٌ.

هذا وسادسها وسابعها النزول ... كذلك التنزيل للقرآن
واللهُ أخبرنا بأن كتابه ... تنزيله بالحق والبرهان
أيكون تنزيلًا وليس كلام من ... فوق العباد أذاك ذو إمكان؟

يعني التنزيل ممن؟

أيكون تنزيلا من الرحمن ... حمن ليس مباين الأكوان

كيف يكون تنزيلًا منه وهو لا داخل العالم ولا خارج العالم، و... و..؟

وكذا نزول الرب جَلَّجَلَالُهُ ... في النصف من ليل وذاك الثَّاني
فيقول لست بسائل غيري ... سوال العباد أنا العظيم الشأن
من ذاك يسألني فيعطىٰ سؤله ... من ذا يتوب إلي من عصيان
من ذاك يسألني فأغفر ذنبه ... فأنا الودود الواسع الغفران

إلى آخره، هذا نوعٌ، حديثُ النزول: «ينزل الله عَزَّ وَجَلَّ إلىٰ السماء الدنيا، فيقول: لا أسأل عن عبادي أحدًا غيري..». وهذه رواية، هذا اللفظ أخرجه الإمام أحمد وغيره.

أيضًا النصوص الكثيرة: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝٢﴾ [غافر: ٢]، ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝١﴾ [الزمر: ١]، ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ [فصلت: ٤٢]، ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢]... إلى آخرها.

هذا وثامنها بسورة غافر ... هو رفعة الدرجات
درجاته مرفوعة كمعارج ... أيضًا له وكلاهما رفعان
وفعيل فيها ليس معنىٰ فاعل ... وسياقها يأباه ذو التبيان

﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾ [غافر: ١٥]، يقول: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾ ليس كما يقول المتكلمون: رافعُ الدرجات. لا، فهذه الصفة له.

هذا وتاسعها النصوص بأنه ... فوق السماء وذا بلا حسبان

وهذه النصوص كثيرة جدًّا.

فاستحضر الوحيين وانظر ذاك ... تلقاه مبينا واضح التبيان

ولسوف نذكر بعض ذلك عن ... يب كي تقوم شواهد الإيمان

إلى آخره.

هذا وعاشرها اختصاص البعض ... من أملاكه بالعند للرحمن

يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦]. إذًا بعض المخلوقات شرفهم الله عَزَّ وَجَلَّ بأن جعلهم عنده، وهذا يدل على أنهم اختصوا بهذه العندية.

وكذا اختصاص كتاب ... بعند الله فوق العرش ذو تبيان

إلى آخره، كقوله سُبْحَانَهُ: ﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [فصلت: ٣٨].

أيضًا قول النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما أخرجه مسلم: «**إن المقسطين عند اللهِ علىٰ منابر من نورٍ، عن يمين الرحمن عَزَّ وَجَلَّ، وكلتا يديه يمين**».

أيضًا قول النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لما خلق الله الخلقَ كتب كتابه، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي تغلب غضبي**».

هـذا وحـادي عشـرهن إشـارة نحـو العلـو بإصـبع وبنـان

«**اللهم اشهد**»، النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشار إشارةً حسية، وهذه الإشارة كفر عند المتكلمين، هذه الإشارة لا تجوز عندهم.

إذًا هذه كثيرة، لو ترجعون إليها، أنا أشرتُ إليها، وقد ذكرتُ لكم المصدر.

يقول المؤلف: (**سُئل الإمام مالك بن أنس** رَحِمَهُ اللَّهُ **فقيل: يا أبا عبد الله** ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ۝٥﴾ **كيف استوىٰ؟ فقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. ثم أمر بالرجل فأُخرج**).

كم جملةً هنا؟ (**الاستواء غير مجهول**) الجملة الأولى، طبعًا رواية أشهر من هذه: "**الاستواءُ معلومٌ**"، (**والكيف غير معقول أو مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة**) هذه أربع جمل، والذين أوّلوا كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، أولوا كلامه، وأولوا كلام رسوله، هل سيفهمون الإمام مالك؟ أولوا كلامه، وأولوا كلامه بتأويلٍ غريبٍ جدًّا.

هذا السائل ماذا يقول؟ يقول: (**يا أبا عبد الله،** ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ۝٥﴾ ذكرَ له الآيةَ، أليس كذلك؟ هم قالوا: (**الاستواءُ معلوم**) معناه الاستواء وروده في القرآن معلوم؛ أي مذكور في القرآن، هو ذكره له، سبحان الله! هو ذكره له، هل يحتاج إلى تنبيه أن وروده في القرآن معلوم؟ هذا قدحٌ في..

(**الاستواء معلوم أو غير مجهول**) ما الذي هو غير مجهول؟ معناه عند العرب، هو العلو والارتفاع.

هناك شيء معلوم، وشيء لا يمكن أن نتوصل إليه، هذا الذي يريد أن يبينه الإمام مالك، وهذا منهج أهل السنة، وجواب الإمام مالك هذه صارت قاعدة من قواعد منهج أهل السنة، سبحان الله! هذه المقولة غدت قاعدةً من قواعد أهل السنة والجماعة، تُذكر جوابًا لأي سؤال عن أي صفة، معناها عند العرب، المعاني معلومة، والمعاني كما علمنا تتخصص وتتقيد حسب المضاف إليه، حتى لا يقول هذا المشبِّه: الاستواء معناه استواء فيه افتخار.

فالمعاني معلومة، والكيفيات مجهولة، والإيمان به واجب، والسؤال عنه -عن ماذا؟ عن الكيفية- بدعةٌ، لماذا بدعة؟ لأن أحدًا من الصحابة لم يسأل عن الكيفية.

ثانيًا: لأنه سؤال عن شيء لا يمكن أحد أن يجيب عنه، ما أُخبرنا عن الكيفية، فلذلك كل مَن يسألك عن كيفية صفةٍ، قل له: كيف ذاته؟ لأنه كما قلنا وذكرنا مرارًا القاعدة التي ذكرها شيخ الإسلام: القول في الصفات كالقول في الذات.

إذا كنتَ قد عرفتَ كيفية ذاته سُبْحَانَهُ، فاسألني عن كيفية الصفات، أما إذا كنتَ لم تتوصل إلى كيفية الذات، فيكف تطالبني أن أخبرك عن كيفية الصفات.

إذًا هناك شيء تُعبدنا به، وهو المعنى، وهناك شيء نُهينا عن الخوض فيه، وهو الكيفية.

(**والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة**) الإمام مالك هنا يحذر السائل عن ماذا؟ يحذره عن السؤال وعن الخوض فيما لا يعنيه، هؤلاء المبتدعة يقولون: الإمام مالك يسأل عن السؤال في الصفات، يا أخي، لا نخوض في هذه الأمور، لماذا؟ لأن الإمام مالك يقول: السؤال عنه بدعةٌ، السؤال عن ماذا بدعة؟ عن الكيفية، هذا مثل ما ورد عن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والحديث حسنه بعض المحدثين، يقول: «**إذا ذُكر القدرُ فأمسكوا، وإذا ذُكر أصحابي فأمسكوا**».

ما معنى هذا الحديث؟ هل معنى الحديث أنك إذا سُئلتَ عن القدر تسكت؟ تبيّن، الإيمان بالقدر هذا من أركان الإيمان الستة، لا بد أن تعلم بماذا تؤمن، أليس كذلك؟

✍ **مراتب الإيمان بالقدر**: العلم، والكتابة، والمشيئة، والخلق، والتفصيلات التي وردت في الكتاب والسنة لا بد أن تذكرها وتؤمن بها، فما معنى فأمسكوا؟ معناها أنه إذا خاض الناس في القدر بتخرصاتهم: لماذا فُضل هذا بهذا؟ ولماذا خُص هذا بهذا؟ فأمسكوا؛ لأن الله عَزَّ وَجَلَّ هو فعالٌ لما يريد، وهو أعلم بمخلوقاته، فأمسكوا لا تخوضوا في هذه الأمور، وهذا الذي يُقال عنه أنه سرُّ الله في خلقه، وإلا الحديث عن القدر يجب أن يكون هناك حديث عن القدر؛ لأنه ركن من أركان الإيمان.

وكذلك الصحابة: «**وإذا ذُكر أصحابي فأمسكوا**»، هل معناه أننا نمسك عن بيان فضائل الصحابة، وعن بيان عدالتهم، وعن بيان ما ورد فيهم؟ لا، إذا وجدتم الناس يخوضون فيهم بالباطل فأمسكوا؛ لأن مقام الصحابة عظيم، لا تخوضوا فيه.

أيضًا لا تخوضوا فيما شجر بينهم، لا تقحموا أنفسكم فيما حصل منهم.

ونهي الإمام مالك هنا: "**السؤال عنه**" الضمير يرجع إلى الكيفية.

وسبحان الله! هذا واضح من سياق القصة وسباقها ومساقها، واضح جدًّا، ومع ذلك كما قلتُ: الذي يؤول كلام الله عَزَّ وَجَلَّ وكلام رسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع وضوحه ونصاعته، وكونه لا يتحمل التأويل؛ فكلام الإمام مالك وغيره سيكون أسهل بالنسبة لهم.

(**ثم أمرَ بالرجل فأُخرج**) هذا تأديب، ومثل هذه الأمور ترجع إلى العالم، هو الذي يحددها، قد تكون هناك إذا أُخرج تتلقفه الشياطين، ويكون صيدًا سهلًا بالنسبة لهم، لا، تلك البيئة يعني بيئة الإمام مالك، إذا أُخرج هذا سيندم، فهذه الأمور ترجع إلى المصالح.

ثم قال: (**ومن صفات الله تَعَالَىٰ أنه متكلم بكلام قديم**).

صفةُ الكلام من الصفات التي أحسن في عرضها الإمام الموفق، بل أستطيع أن أقول: إنه تميز في هذه الصفة، وخاصةً فيما سيأتي من كلامه حول القرآن، الإمام

الموفق له أربعة رسائل مستقلة تتعلق بالقرآن، لخصها هنا في هذا الكتاب تلخيصًا جيدًا.

وهناك بعض الملاحظات على كلام الموفق رَحِمَهُ اللَّهُ؛ مثل قوله هنا: (**بكلامٍ قديم**) بعض هذه الملاحظات، ولكن التفصيل الذي ذكره في هذه الصفة من أروع ما يكون، التفصيل الذي ذكره في صفة العلو تجده في عامة الكتب، ولكن التفصيل الذي ذكره في صفة الكلام عمومًا وفيما يتعلق بالقرآن خصوصًا قد لا تجده في غيره، تفصيل رائع جدًّا.

(**ومن صفات الله تَعَالَىٰ أنه متكلم بكلامٍ قديم**). متكلم بكلامٍ قديم، طبعًا المتكلم ليس من أسماء الله عَزَّ وَجَلَّ، ولكن من صفاته أنه متكلم، اللهُ عَزَّ وَجَلَّ من صفاته أنه له صفة الكلام، وصفة الكلام من الصفات التي هي ذاتية باعتبار وفعلية باعتبار.

وكلام الموفق هنا (**بكلام قديم**) يقصد بالقديم: الأزلي، يريد أن يقول: إنه متكلم بكلام قديم؛ أي أزلي، فجعل صفة الكلام أزليةً بحتة، وهذا ليس بصحيح، وهذا لا ينسجم بما سيذكره أيضًا؛ لأن التفاصيل الرائعة التي سيذكرها لا تنسجم مع ما يقرره هنا.

على كل حال، صفة الكلام من الصفات التي هي ذاتية باعتبار وفعلية باعتبار، معنى هذا الكلام أن من الصفات ما هي صفات أزلية، والله عَزَّ وَجَلَّ متصف

بصفة الكلام أزلًا وأبدًا، مع هذا هناك جانب يتعلق بمشيئته وقدرته، وبالتالي الله عَزَّ وَجَلَّ يكلم مَن شاء بما شاء متى ما شاء، مع اتصافه بهذه الصفة أزلًا وأبدًا.

الجانب المتعلق بمشيئته وقدرته هذا لا يثبته الأشاعرة والماتريدية، وإلا هم يثبتون صفة الكلام، صفة الكلام يثبتها الكلابية عمومًا، الأشاعرة والماتريدية يثبتون صفة الكلام، ولكنهم يرون أن كلامه سُبْحَانَهُ أزلي بحت، ولذلك كلُّ ما يتعلق بالمستقبل من كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، مثلًا كلامه الذي يتعلق بموسى، وكلامه الذي يتعلق بالنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكلامه الذي يتعلق بما سيكون يوم القيامة -هذا كله قديم! ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴿١٣﴾﴾ [طه: ١٣]، هذا كله كلام قديم، الله عَزَّ وَجَلَّ تكلم به قديمًا، وبقي معلقًا حتى جاء متعلقه وهو موسى، فتوجه إليه، هكذا يقولون.

ما الذي ألجأك إلى هذا؟! وما المانع أن يتكلم الله عَزَّ وَجَلَّ بمشيئته وقدرته؟! لماذا تقول: إن الله عَزَّ وَجَلَّ لا يتكلم الآن؟ لا يمكنه أن يتكلم، لماذا؟ سبحان الله! يعني فكروا يا مشايخ، هذه البدع واللهِ غريبة، سبحان الله!

أنتَ تجزم بأن الله عَزَّ وَجَلَّ لا يتكلم الآن، بل وأغرب من هذا لا يفعل شيئًا الآن، كل ما تجده من تدبير الله عَزَّ وَجَلَّ هذا قديم، بقدرته القديمة، وإرادته القديمة، أمر بهذا قديمًا، وهذا يحصل بالتتابع، أما أنه يتكلم الآن وسيتكلم، وأنه يريد الآن، وسيريد -هذا لا يوجد في عقيدة الكلابية عمومًا؛ الأشاعرة والماتريدية.

➢ لماذا؟ في أي آية أو في أي حديث صحيح صريح وجدتم هذا؟

✍ قالوا: لأن هذا يستلزم حلول الحوادث بذاته سُبْحَانَهُ.

سبحان الله! هذه القواطع العقلية، وبالتالي لما كتبوا في أصول الفقه، عقّدوا الأصول بشكل غريب، أصول الفقه؛ لأن من صفات الكلام عندهم أنه واحد لا يتعدد، ومن صفاته أنه ليس بحرفٍ وصوت، ومن صفاته أنه لا يُسمع، ومن صفاته، ومن صفاته، ومن صفاته..

لما جاءوا إلى أصول الفقه بهذه الأفكار الغريبة عقّدوها جدًّا، ولو أذكر لكم أمثلة سنخرج من..

✍ **الخلاصة**: أن أهل السنة والجماعة يثبتون صفة الكلام ويقولون: إن هذه الصفة ذاتية باعتبار وفعلية باعتبار، أما المعتزلة فلا يثبتون صفة الكلام، والجهمية أيضًا لا يثبتون، أما المتكملون الآخرون الماتريدية والأشاعرة فيثبتون صفة الكلام ولكنها عندهم أزلية بحتة.

وأثرُ هذه سيأتي بيانها فيما سيأتي لما نأتي إلى صفة.. إلى القرآن، مباحث تتعلق بالقرآن نفسه، كل ما ذكره هنا يتعلق بالصفة عمومًا، سيفرد وسيخصص القرآن بمبحث فريد جدًّا كما قلتُ سيأتي.

المعتزلة لا يثبتون صفة الكلام، وبالتالي القرآن الذي أمامنا هذا عندهم مخلوق من المخلوقات، ولكنه مخلوق شريف، مثل بيت الله، وناقة الله، هذه الإضافة

للتشريف، وكذلك القرآن مخلوق من المخلوقات ولكنه.. وذكرنا سابقًا أن هذا عنوان لمسألة كبيرة جدًّا؛ خلق القرآن.

أما الماتريدية والأشاعرة كما قلنا يثبتون، ولكن يثبتونها أزليةً بحتة، والموفق هنا بدايته توافق أولئك، وهذا خطأ من الأخطاء التي نجدها في هذا الكتاب.

ثم قال: (**يسمعه منه من شاء من خلقه**) يسمعه منه؛ أي: من الله عَزَّ وَجَلَّ، وهذا أيضًا من أهم المسائل التي ينكرها من يثبت صفة الكلام، طبعًا هذه المسائل التي يذكرها هنا سيذكر أدلتها مرة واحدة، مع ذلك نشير إلى بعض الأدلة.

(**يسمعه منه من شاء من خلقه**) فإذا أراد الله عَزَّ وَجَلَّ أن يُسمع كلامه أحدًا من خلقه فهذا المخلوق يسمع كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، إذًا كلام الله مسموع، يسمعه من شاء من عباده، كما (**سمعه موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ من غير واسطة**)، ومن أذن له من ملائكته ورسله، هذا كمثال؛ (**سمعه موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ من غير واسطة**).

وموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ اُشتهر بأنه كليم الله، مع أن الله عَزَّ وَجَلَّ كلم غيره أيضًا مباشرة، منهم أبونا آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومنهم نبينا محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كلمه مباشرة، لما عُرج به إلى السموات، ومع ذلك خُص كليم الله بهذا اللقب، ولعل ذلك -والله أعلم- أن تكليمه له كان وهو في الأرض، أما تكليم الله عَزَّ وَجَلَّ لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ فكان لما كان في الجنة، وكذلك تكليمه لنبينا محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما عُرج به إلى السموات، أما تكليمه لموسى حصل وهو...

(**سمعه موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ منه من غير واسطة**) موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كيف سمع كلام الله عَزَّ وَجَلَّ؟ طبعًا بالنسبة للمعتزلة، المعتزلة يقولون: هو سمع النداء جاءه من الشجرة، سمع من الشجرة، سمع كلامًا مخلوقًا في الشجرة، هذا كلام المعتزلة، أما الأشاعرة يقولون: موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ سمع كلام الله الأزلي القديم الذي هو قائم بنفس الله عَزَّ وَجَلَّ، كيف سمعه؟ أن الله عَزَّ وَجَلَّ تكلم به أزلًا، وظل معلقًا حتى جاءت المناسبة فتوجهت إليه. هناك شيء اسمه عندهم تجدد التعلق.

وهم لما يتحدثون عن النسخ، كيف يكون النسخ؟ هناك خطاب سابق، ثم يكون هناك خطاب لاحق يكون بعده، فيُنسخ به ما قبله، عندهم هذا لا يتأتى؛ لأن هذا فيه قبل وبعد، وهذا يدل على الحدوث، وكلام الله عَزَّ وَجَلَّ كله أزلي.

كيف يكون النسخ؟ بالنسبة للمنسوخ يقولون: انتهاء تعلقه بالمكلف، انتهى تعلقه، وبدأ تعلق الخطاب الْثَّانِي، الذي يبدأ وينتهي هو التعلق، وليس هناك خطاب سابق وخطاب لاحق.

إذًا (**سمعه موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ من غير واسطة**)، سمعه من الله عَزَّ وَجَلَّ مباشرةً. كيف؟ ما ندري.

وأيضًا سمعه (**ويسمعه مَن يأذن له من ملائكته ورسله**) يسمعون كلام الله عَزَّ وَجَلَّ.

(**وأنه سُبْحَانَهُ يكلم المؤمنين في الآخرة**) سيكلمهم (**ويأذن لهم فيزورونه**)، طبعًا هذا ورد في أحاديث كثيرة، منها: قوله سُبْحَانَهُ لأهل الجنة: «**يا أهل الجنة. فيقولون: لبيك وسعديك**»، فيقولون: لماذا يقولون؟ لأنهم سمعوا كلام الله عَزَّ وَجَلَّ. «**فيقولون: لبيك وسعديك**». والحديث أخرجه البخاري.

أيضًا في حديث أن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن أهل الجنة إذا دخلوا فيها، نزلوا بفضل أعمالهم**» بحسب أعمالهم، ينزلون فيها بحسب أعمالهم، «**ثم يُؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا، فيزورون ربهم**». الحديث أخرجه الترمذي وابن ماجة، وقال الترمذي: غريب.

(**قال الله تَعَالَىٰ**) هنا بدأ بذكرِ الأدلة، إلى هنا ذكر بعض المسائل، هنا الآن سيذكر الأدلة.

(**قال الله تَعَالَىٰ**: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾) مَن المُكلِّم؟ موسى، ومَن المُتكلِّم؟ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

﴿تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ هذا تأكيد؛ لبيان أن الكلام المراد به هنا حقيقة الكلام، حتى على القول بالحقيقة والمجاز هذا المصدر هنا لتأكيد الحقيقة، وأن المراد هنا حقيقة الكلام؛ لأن الكلام لغةً يأتي بمعنى الجرح.

جراحات السنام لها التئامُ ولا يلتئمُ ما جرحَ اللسانُ

فبعضهم يقولون: وكلّم الله موسى؛ أي جرحه.

﴿تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ يعني جرحًا غائرًا ولا كيف؟!

(﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء: ١٦٤] **وقال** سُبْحَانَهُ..) طبعًا بعضُ المبتدعة كان يريد أن يقول.. كان يريد من أحد أئمة القراء أن يقرأ: وكلم اللهَ موسى تكليمًا. فقال له -في معنى كلامه-: هب أنني قرأتُ هنا هكذا، فماذا تفعل بكلام الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣]؟!

(**وقال** سُبْحَانَهُ: ﴿يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾ [الأعراف: ١٤٤])، ﴿يَا مُوسَى﴾ هذا نداء، والنداء لا يكون إلا بصوتٍ، والنداء يكون دائمًا بصوت، وهذا إذًا يدل على كون كلام الله عَزَّ وَجَلَّ بمشيئته وقدرته.

﴿نَادَاهُ﴾ [النازعات: ١٦]، متى ناداه؟ في الأزل؟ ناداه في تلك المناسبة.

(﴿يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾ [الأعراف: ١٤٤]، **وقال** سُبْحَانَهُ: ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]) ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

(**وقال** سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١]) هنا ذكرَ أنواع الوحي، وأنه يكون بصور مختلفة؛ منها الوحي؛ يصله الوحي، أو كلام من وراء حجاب، كلام يُسمع من وراء حجاب، أو بإرسال الرسل؛ الرسول جبريل.

(**وقال** سُبْحَانَهُ: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى ﴿١١﴾﴾) هذا من أصرح الأدلة على أن الكلام كان في ذلك الوقت، ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ طبعًا سيأتي تعليق المؤلف، (**وقال** سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [طه: ١٤]).

عند المعتزلة هذا المتكلم وهو الشجرة، لذلك يقول المؤلف: (**وغير جائز أن يقول هذا أحد غير الله**)، الشجرة كيف تقول: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ﴾؟! ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ هل تستطيع الشجرة أن تقول هذا؟!

☝ هذه بعض الآيات، ثم يذكر بعض الأحاديث التي تتعلق بالمسائل التي تتعلق بالكلام.

(**وقال عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "**إذا تكلم الله بالوحي**") إذا تكلم الله، هذا أيضًا يدل على أن كلامه بمشيئته وقدرته، (**إذا تكلم الله بالوحي، سمع صوته**)؛ إذًا كلامه مسموع، ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] كلامه مسموعٌ، (**سمعَ صوته أهل السماء**) "**كسلسلةٍ على صفوان**"، كيف سيسمعون صوته؟ الحجر الأملس لما تضربه بالسلسلة يكون صوت ما تفهمه، هكذا سيسمعون صوتًا لا يفهمونه؛ وهذا يدل على أن كلام الله عَزَّ وَجَلَّ يسمعه أهل السماوات.

(**ورُوِيَ ذلك عن النبي** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) طبعًا هذا الحديث رواه الإمام البخاري موقوفًا مجزومًا به، وكما تعرفون الإمام البخاري لما يجزم بالمعلقات هذا

يدل على أنه صحيح عنده، ولكنه مرفوع أيضًا، وهو صحيح مرفوعًا وموقوفًا، وهو أيضًا من أصرح الأدلة على أن كلام الله عَزَّ وَجَلَّ مسموع، (**إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماوات**) كسلسلةٍ على صفوان.

(**ورَوىٰ عبد الله بن أنيس عن النبي** صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أنه قال: «يحشر الله الخلائق يوم القيامة عراة حفاة غُرْلًا»**) أي غير مختونين («**بُهْمًا**»)؛ أي طليقي الأيدي؛ ليس بيدهم شيء يحملونه معهم يستفيدون منه ويستغلونه هناك، ما عندهم شيء؛ هذا يدلُّ على غاية الذل والفقر والاحتياج، ما بيدهم شيء.

(«**فيناديهم بصوت**»)، وهذا يدل على أن كلام الله عَزَّ وَجَلَّ بصوتٍ، وهم لما يذكرون صفة الكلام دائمًا من غير صوتٍ ولا حرفٍ، هذا من القيود الضرورية عندهم.

(«**فيناديهم بصوتٍ يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب**») ينادي بماذا؟ («**أنا الملك أنا الديان**»)؛ لأن بعضهم يقولون: إن الذي سينادي هو المَلَك. طيب «**أنا الملك أنا الديان**»، هذا النداء لا يمكن أن يكون من غير الله عَزَّ وَجَلَّ.

هذا الحديث أورده الإمام البخاري في خلق أفعال العباد؛ لبيان أن كلام الله عَزَّ وَجَلَّ يكون بصوتٍ، ولكن صوته لا يشبه أصوات المخلوقين؛ لأن من صفات صوته يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب، هل أصواتنا هكذا؟ لأنهم يقولون: إذا

أثبت لكلامه صوتًا، فهذا فيه تشبيه. وأي تشبيه؟! مَن الذي يكون صوته يسمعه من قرب كما يسمعه من بعد؟! صوتك هنا هل يسمعه مَن هنا كمن يسمعه هناك؟ حتى بهذه الوسائل، يسمعه من في الجهراء مثلًا؟ إذًا كلام الله عَزَّ وَجَلَّ بحرفٍ وصوتٍ.

(**رواه الأئمة، واستشهد به البخاري**) البخاري استشهد به موقوفًا.

(**وفي بعض الآثار أن موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ ليلة رأىٰ النار فهالته ففزع منها، فناداه ربه: يا موسىٰ، فأجاب سريعًا**) يعني سمع كلامه (**استئناسًا بالصوت**) أجاب سريعًا دون أن يراه، ولكنه سمعًا صوتًا فأجابه: (**لبيك لبيك، أسمع صوتك ولا أرىٰ مكانك، فأين أنتَ؟ فقال: أنا فوقك ووراءك وعن يمينك وعن شمالك**) طبعًا هذا ضعيف جدًّا، يعني من الإسرائيليات، لماذا ذكره الإمام الموفق؟

(**فعلم أن هذه الصفة لا تنبغي إلا لله تَعَالَىٰ. قال: فكذلك أنت يا إلهي، أفكلامك أسمع، أم كلام رسولك؟ قال: بل كلامي يا موسىٰ**) هذا كما قلتُ: ضعيف جدًّا من الإسرائيليات، ولا يُستشهد به، ولا يُستدل به.

هذه بعض الصفات التي هي من صفات كلام الله عَزَّ وَجَلَّ.

إذًا مَن يثبت صفة الكلام لا بد أن يثبت أيضًا صفات الكلام، الصفات التي وردت لصفة الكلام -أي: كلام الله عَزَّ وَجَلَّ- لا بد أن تثبتها، أما أنك تقول: كلام الله عَزَّ وَجَلَّ أثبته، نعم ولكنه لا يُسمع، ولكنه ليس بحرفٍ وصوت، ولكنه

ليس متبعضًا، ولكنه ليس بالترتيب، ولكنه ليس فيه أولية وبعدية، كل هذا، إذًا ما الذي أثبته؟! قل مثل المعتزلة: ما أثبته وانتهينا. أثبته ولكنه كذا، أثبته ولكنه كذا، أثبته ولكنه كذا!

إثبات صفات كلام الله عَزَّ وَجَلَّ هذه خطوة مهمة جدًّا، وهذا الذي يتميز به أهل السنة والجماعة، كلام الله عَزَّ وَجَلَّ وُصف بصفات لا بد أن نثبتها.

أما مَن يقول: هذه الصفات إما أن تثبتها قديمة وإما أن تثبتها حادثة، إذا أثبتها حادثة فيسلتزم حلول الحوادث! هذه كلها خرافات، ليس لها أي كرامة، كما أن المبتدع ليس له كرامة، وكذلك البدع ليس لها كرامة.

كل بدعةٍ تكون سدًّا لإثبات شيء من الحق لا كرامة لها، بل البدع عمومًا ولكن أخص البدع التي تجعلك تنفي شيئًا من الحق، فخطورتها أكبر، مثل البدعة هنا، هذه البدعة بدعتهم في صفة الكلام، مع أنهم يثبتونها، لو نذكرها هنا ستطول السلسلة، يعني أثرها على كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، اعتمادًا على هذه الخرافات لا يمكننا أن نقول: إن هذا كلام الله عَزَّ وَجَلَّ حقيقةً، كما سيأتي في كلام الموفق، سُبْحَانَ اللَّهِ! وُفِّق في هذه المسألة توفيقًا قد لا تجدونه عند غيره؛ لأنه كما قلتُ ألّف في هذا مؤلفاتٍ.

فأرجع وأقول: إثبات صفة الكلام هذه خطوة، وإثبات صفات كلام الله عَزَّ وَجَلَّ هذه أيضًا خطوة لا تقل أهميةً عن الخطوة الأولى.

لا تقل: أنا أثبت صفة الكلام. وكأنك أحسنتَ إلى.. نعم أثبت ولكنك نفيتَ! تظل تنهش هنا وهنا، من هنا ومن هنا، حتى تجعل الصفة كأنها ليست بصفة.

فلا بد أن تثبت الصفات التي وردت لهذه الصفة، حتى تكون قد أثبت هذه الصفة صفةً تليق بالله عَزَّ وَجَلَّ.

نكتفي بهذا القدر.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ. اللّٰهم اغفر لنا ولشيخنا ولمشايخه وللحاضرين من المسلمين والمسلمات يا رب العالمين.

قال الإمام: ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ في كتابه **لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد:**

فصلٌ: القرآن كلام الله:

ومن كلام الله سُبْحَانَهُ القرآن العظيم، وهو كتاب الله المبين، وحبله المتين، وصراطه المستقيم، وتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾، منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وهو سور محكمات، وآيات بينات وحروف وكلمات، من قرأه فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات، له أول وآخر وأجزاء وأبعاض، متلوٌّ بالألسنة، محفوظ في الصدور، مسموع بالآذان، مكتوب في المصاحف، فيه محكم ومتشابه، وناسخ ومنسوخ، وخاص وعام، وأمر ونهي، ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤٢]، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨].

وهذا هو الكتاب العربي الذي قال فيه الذين كفروا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ﴾ [سبأ: ٣١] وقال بعضهم: ﴿إِنْ هَـذَا إِلَّا قَـوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٥]، فقال الله سُبْحَانَهُ: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾ [المدثر: ٢٦]، وقال بعضهم: هو شعر. فقال الله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴿٦٩﴾﴾ [يس: ٦٩]، فلما نفى الله عنه أنه شعر وأثبته قرآنًا، لم يبق شبهة لذي لب في أن القرآن هو هذا الكتاب العربي الذي هو كلمات وحروف وآيات؛ لأن ما ليس كذلك لا يقول أحدٌ: إنه شعر، وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٣]، ولا يجوز أن يتحداهم بالإتيان بمثل ما لا يُدرى ما هو ولا يعقل، وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي﴾ [يونس: ١٥]، فأثبت أن القرآن هو الآيات التي تتلى عليهم. وقال تَعَالَىٰ: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩] وقال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الواقعة: ٧٧ - ٧٩]، بعد أن أقسم على ذلك، وقال تَعَالَىٰ: ﴿كهيعص﴾ [مريم: ١]، وقال تَعَالَىٰ: ﴿حم ﴿١﴾ عسق﴾ [الشورى: ١ - ٢] وافتتح تسعًا وعشرين سورة بالحروف المقطعة.

وقال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من قرأ القرآن فأعربه؛ فله بكل حرف منه عشر حسنات، ومن قرأه ولحن فيه؛ فله بكل حرف حسنة» حديث صحيح.

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «اقرأوا القرآن قبل أن يأتي قوم يقيمون حروفه إقامة السهم لا يجاوز تراقيهم، يتعجلون أجره ولا يتأجلونه»، وقال أبو بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما: إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه. وقال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من كفر بحرف منه فقد كفر به كله. واتفق المسلمون على عد سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه.

ولا خلاف بين المسلمين في أن من جحد من القرآن سورة أو آية أو كلمة أو حرفًا متفقًا عليه أنه كافر، وفي هذا حجة قاطعة على أنه حروف.

التعليق:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ، نحمده ونصلي على رسوله الكريم؛ أَمَّا بَعْدُ: -

بعد أن ذكر المؤلف وأورد بعض الأدلة على إثبات صفة الكلام لله عَزَّ وَجَلَّ، مثَّل هنا ببعض ما وصلنا من كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، قرر في الفصل الأول أن الله عَزَّ وَجَلَّ متصفٌ بصفة الكلام، وأن كلامه مسموع، وأن كلامه هو الذي تكلم به، ويتكلم بمشيئته وقدرته، ويكلم من شاء من خلقه بما شاء.

وبعد ذلك يبيِّن في هذا الفصل بعض ما يتعلق بالقرآن، والقرآن من كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، بعض كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، وليس كل كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، وهو الذي تعبدنا نحن به، وهو الذي أنزل على النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكما ذكر بعض المسائل في صفات الكلام، سيذكر مسائل كثيرة تتعلق بالقرآن.

ذكرنا سابقًا أن ابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ له أربع رسائل في القرآن، الرسائل هذه صغيرة، من تلك الرسائل: رسالة لبيان أن هذا القرآن الذي أُنزل على النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، والمراد بالقرآن هو هذا الذي نتلوه، ورسالة مستقلة في هذا، وذكر في هذا الفصل ملخص ما ذكره في تلك الرسائل الأربعة، ولذلك كما أسلفت كلام القدامى هنا كلامٌ دقيق جدًّا ومفصَّل، وفيه ردٌّ على المتكلمين بالتفصيل، بشيء من التفصيل.

لماذا أطال هنا؟

لأن مذهب الكلابية في القرآن مذهبٌ غريبٌ جدًّا، وهذه الإطالة التي نجدها عند ابن قدامة هذه كلها للرد عليهم في المسائل التي ذكروها؛ لأنهم لما التزموا بالكلام النفسي، أنتج هذا عندهم أن يقولوا في كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، وفي القرآن بخصوصه، أنتج هذا أن يقولوا فيه ببعض الأقوال التي هي غريبة جدًّا.

وهم في هذه الأقوال كلها متبعون للدليل، أو منسجمون مع الدليل الذي به أثبتوا به وجود الله جل وعلا، وهو دليل حدوث الأجسام، وهذا الدليل كلَّفهم

الكثير، ولا يُبالون برد كل ما يصطدم بهذا الدليل، يردونه ولو كان فيه من التكلف ما هو واضح كما سنعلم.

وكل المسائل التي سنشير إليها سببها قولهم بالكلام النفسي، والكلام النفسي لعلنا تحدثنا عنه في الدرس الماضي، كلام الله عَزَّ وَجَلَّ عند الكلابية حقيقة في المعنى فقط، وعند المعتزلة حقيقة في اللفظ، وعند أهل السنة والجماعة حقيقة في اللفظ والمعنى، فالكلام لا يكون إلا لفظًا مشتملًا على معنى، أو لفظًا دالًّا على معنى.

يقول: (**ومن كلام الله تَعَالَىٰ القرآن العظيم**)، هذا من كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، قولنا أن من كلام الله عَزَّ وَجَلَّ القرآن العظيم هذا فيه رد على المتكلمين الذين يقولون: إن كلام الله عَزَّ وَجَلَّ ليس فيه جزءٌ من كل. هذا يعبرون عنه بوحدة الكلام، هذه الجزئية سيأتي الرد عليها بالتفصيل، ولكن هذا أيضًا فيه رد عليهم.

(**ومن كلام الله تَعَالَىٰ القرآن العظيم**) القرآن ليس كل كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، إنما هو بعضه.

(**وهو كتاب الله المبين**) هو كتاب الله؛ لأن الله عَزَّ وَجَلَّ هو الذي تكلم به حقيقة، ويسمى كتابًا لأنه مكتوب في اللوح المحفوظ، كما أنه مكتوب في المصاحف، الكتاب بمعنى المكتوب، فِعال مصدر يأتي بمعنى مفعول، مثل: إله بمعنى مألوه.

(**وهو كتاب الله المبين**) وصف الله عَزَّ وَجَلَّ كتابه في القرآن بأنه مبين، وصفه بذلك في ثمانية آيات من القرآن الكريم، وصفه بأنه مبين، والمبين من معانيه: ما ذكره الله عَزَّ وَجَلَّ في قوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، فيه بيان لكل شيء.

"مبين" بمعنى البيِّن، ومبين بمعنى مبيِّن، فالمبين الذي بيَّن فيه سُبْحَانَهُ ما يحتاجه العباد، والمبين بمعنى البين الواضح، وأيضًا بمعنى الذي يوضح ويبين.

ثم قال: (**وحبله المتين**) يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وحبل الله فُسر بالقرآن، كما أنه فُسر بالإسلام.

(**وتنزيل رب العالمين**) هذا القرآن هو منزل ممن؟ من الله عَزَّ وَجَلَّ، طبعًا من هنا بدأ الرد على المتكلمين؛ لأن المتكلمين يقولون أن المنزَّل ليس كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، هم يقولون: هذا القرآن المنزل ليس كلام الله عَزَّ وَجَلَّ. هذا من يقوله؟ الأشاعرة والماتريدية الذين هم فروع الكلابية، يقولون: هذا القرآن المنزل ليس كلام الله عَزَّ وَجَلَّ حقيقة، وإنما هو دال على كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، أو عبارة عن كلام الله عَزَّ وَجَلَّ. عرفنا موقفهم؟

المعتزلة يقولون: هذا كلام الله حقيقة، إذًا هم في التعبير أحسن من الاشاعرة، ولكنهم يقولون: هذا كلام الله حقيقة، وهو مخلوق من مخلوقاته الشريفة.

أما الكلابية فيقولون: هذا ليس كلام الله عَزَّ وَجَلَّ حقيقة، بل هو دال على كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، أو عبارة، وكلام الله عَزَّ وَجَلَّ في نفسه، الكلام النفسي.

هذا القرآن من أوصافه أنه منزل، والله عَزَّ وَجَلَّ ذكر في آيات كثيرة أنه منزَّل: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣]، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾﴾ [القدر: ١]، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣]، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾﴾ [الكهف: ١]، ﴿حم ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾ [الجاثية: ١، ٢].

إذًا هذا منزل، وهذا المنزل كلام الله حقيقةً، هذا الذي يريد أن يبيِّنه المؤلف، وعند المتكلمين عمومًا كونه منزلًا هذا من صفات الحدوث، فكونه منزلًا يدل على حدوثه، ولذلك ليس كلام الله حقيقة عند الأشاعرة والماتريدية، وعند المعتزلة بما أنه منزل فهو مع أنه كلام الله عَزَّ وَجَلَّ إلا أنه مخلوق من المخلوقات.

(**نزل به الروح الأمين، علىٰ قلب سيد المرسلين**) خص هنا القلب: (**علىٰ قلب سيد المرسلين**)، هو نزل على النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خُص القلب بالذكر؛ لأن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يغشاه ما يغشاه عند الوحي، فبعد أن ينفصل عنه كان قد وعى كل ما أوحي إليه من ربه.

فهذا مُنزلٌ نزل به الروح الأمين، على قلب سيد المرسلين، وسمعه جبريل من الله عَزَّ وَجَلَّ مباشرة.

(نزل به الروح الأمين) والروح الأمين هو جبريل، لُقب بأنه أمين؛ لأنه أدى الأمانة كما طُلب منه، وقد نُسب هذا القرآن إلى جبريل، نُسب إليه قولًا، كما أنه نُسب إلى النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قولًا، نُسب إلى جبريل؛ لأنه هو الذي أنزله على النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما أنه نُسب إلى النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قولًا؛ لأنه منه تلقيناه، يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠﴾ [التكوير: ١٩، ٢٠]، الرسول هنا هو جبريل، أيضًا في قوله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ۝٤١﴾ [الحاقة: ٤٠، ٤١]، الرسول هنا من؟ النبي محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ إذًا نسب إليهما؛ نُسب إلى جبريل لأنه مبلِّغ، وكذلك نُسب إلى الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنه مبلِّغ، وعليه أُنزل، وهذا القول الذي يقولونه هو كلام الله عَزَّ وَجَلَّ.

أنا إذا حكيت كلامًا لفلان مثلًا، فهذا القول الذي تسمعونه مني لا يكون كلامي، هو كلام فلان، كلام ابن قدامة الذي أحكيه، هذا القول الذي تسمعونه مني، الكلام لمن؟ لي أو لابن قدامة؟ لابن قدامة، الكلام له؛ لأن الكلام ينسب إلى من قاله مبتدأً.

ثم قال: (﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ۝١٩٥﴾ [الشعراء: ١٩٥]) الله عَزَّ وَجَلَّ وصف هذا الكتاب بأنه عربي، وأنه بلسان عربي، وصفه في ذلك في عشر آيات من القرآن، ومع ذلك الكلابية يرون أن كونه عربيًا هذا يدل على حدوثه، وكلام الله عَزَّ وَجَلَّ

-وكذلك القرآن عندهم- حقيقة عندهم ليس عربيًّا، ولا عبريًّا، ولا سريانيًّا، كلام الله عَزَّ وَجَلَّ عندهم واحد، إن عُبِّر عنه بالعربية فهو قرآن، وإن عبر عنه بالسريالية فهو إنجيل، وإن عبر عنه بالعبرية فهو توراة، غريبة هذه الأمور، أليس كذلك؟ أمور غريبة جدًّا، ما ورد في القرآن كله نفس ما ورد في الإنجيل والتوراة؟ يختلف، ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾.

(**مُنـزلٌ غيـر مخلـوق**) كونه منزلًا ذكره، ولكنه أعاده هنا لتعلقه بما بعده، ما بعده: (**منزل غير مخلوق**) القرآن كلام الله عَزَّ وَجَلّ منزل، وليس مخلوقًا.

(**منه بدأ، وإليه يعـود**) القرآن منه بدأ، لماذا؟ لأن الله عَزَّ وَجَلَّ هو الذي تلفظ به، وهو الذي تكلم به، ومنه أخذه من؟ جبريل أخذه سماعًا منه، سمع منه، منه بدأ، وأيضًا منه بدا، من البدو وهو الظهور، كلاهما صحيح، ظهر من الله عَزَّ وَجَلَّ، ومنه سمعه جبريل.

إذا منه بدأ، ومنه بدا، وليس كما يقوله الأشاعرة، أنه بدأ أو بدا من جبريل، أو من محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنهم يرون أن القرآن الله عَزَّ وَجَلَّ أفهمه جبريل، فجبريل عبَّر عنه، وهذا التعبير الذي نراه هو من جبريل، هذه الألفاظ وهذه التعابير التي نراها: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ [الأحزاب: ١]، هذه الألفاظ لمن؟ عندهم لجبريل.

أن الله عَزَّ وَجَلَّ أفهمه، وجبريل عبَّر عنه، أو الله عَزَّ وَجَلَّ أفهم جبريل، وجبريل أفهم محمدًا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو عبر عنه بألفاظه، هكذا يقولون.

والصحيح: أن هذه الألفاظ تكلَّم بها وتلفظ بها الله عَزَّ وَجَلَّ، وأوحاها إلى جبريل، وجبريل سمعها منه، وأداها إلى النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فلذلك سيأتي من الأدلة التي سيذكرها ابن قدامة، طبعًا ذكر أدلة كثيرة، ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [يونس: ١٥]؛ لأن الكلام ليس له، وليس لجبريل، إنما هو كلام الله عَزَّ وَجَلَّ.

(**منه بدأ، وإليه يعود**) إليه يعود حسًّا؛ لأنه سيُرفع في آخر الزمان، كما في حديث حذيفة بن اليمان، قال: قال رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب**»، وشي الثوب علاماته؛ النقوش التي على الثوب؛ لأنها مع تقادم الزمن تضعف أو تدرس أو تتلاشى، ثم قال: «**حتىٰ لا يدرىٰ ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة، وليُسرىٰ علىٰ كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ في ليلة، فلا يبقىٰ في الأرض منه آية**»، فإلى هذا يشير بقوله: (**وإليه يعود**)، أي: إليه يعود حسًّا، أيضًا إليه يعود معنًى؛ لأن الله تَعَالَىٰ هو الذي تكلم به، وهو الذي تلفظ به.

ثم قال: (**وهو سور محكمات**) كون القرآن مجزئًا إلى سور هذا من البدهيات التي نعلمها لكتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، أنه مجزأ إلى سور، وهذه التجزئة دليل على الحدوث عند الكلابية والأشاعرة، لأن كونها مجزأة هذا دليل على أنه ليس أزليًا.

ولذلك يقول: ابن قدامة: (**وهو**) هذا القرآن المنزل (**سورٌ محكمات**) أي: متقنات، وكونه محكمًا كله ومتشابهًا كله، وبعضه متشابهًا وبعضه محكمًا -هذا سنشير إليه وسيأتي، كما أنه سبق أيضًا بالتفصيل، إذًا القرآن كله سور محكمات، ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ [هود: ١].

أيضًا القرآن آيات بينات، (**آيات بينات**) واضحة، وأيضًا موضِّحة، (**وحروف وكلمات**) مشتمل على حروف، طبعًا الحروف هي الحروف الهجائية: أ ب ت ث، الحروف الثمانية والعشرون، طبعًا من الحروف تتركب الكلمات، ومن الكلمات تتركب الجمل، ومن الجمل تتركب الآيات، ومن الآيات تتركب السور، والقرآن عبارة عن سور وآيات، إذًا القرآن حروف وكلمات.

وكلام الله عَزَّ وَجَلَّ عندهم ليس بحرف ولا صوت كما يقولون، وسيشير إلى الرد عليهم في هذه الجزئية.

(**من قرأه فأعربه**) كلام الله عَزَّ وَجَلَّ من يقرأه؟ القُراء، قراؤه يختلفون في أدائه، مما يدل على أن المقروء هو كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، وإلا لم يختلف باختلاف القراء، بعضهم يعربه، وبعضهم يخطئ فيه ويلحن فيه.

(من قرأه فأعربه) أي: قرأه قراءةً صحيحةً بدون لحن، (فله بكل حرف عشر حسنات)، الإعراب: هو السلامة من اللحن، ما ورد عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، طبعًا ما ذكره ابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ هذا مقتبس عن هذا الحديث، ولكن الحديث ضعيف، وسيأتي حديث آخر في هذا المعنى.

وهناك حديث آخر عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَعْرِبُوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَأَعْرَبَهُ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَكَفَّارَةُ عَشْرِ سَيِّئَاتٍ، وَرَفْعُ عَشْرِ دَرَجَاتٍ»، وهذا الحديث أيضًا حديث ضعيف.

وهناك حديث آخر حديث صحيح، أخرجه الترمذي وغيره، «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لاَ أَقُولُ: الٓمٓ حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلاَمٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ».

(له أول وآخر) هذا أيضًا غريب، غريب أن يلقنك شخصٌ في كتاب مؤلف في العقيدة أن القرآن له أول وآخر، ما الذي سيقوله له طفل من الأطفال نعلمه ونقول له: القرآن له أول وآخر؟ ألن يستغرب هذا الطفل؟ يعني ما يحتاج أن تقول له أن القرآن له أول وآخر، وأن له بداية وله نهاية، ولكننا احتجنا إلى هذه الأمور لأن أولئك العقلاء لهم نظريات غريبة جدًّا في هذا، يقولون: القرآن كلام الله عَزَّ وَجَلَّ،

واحد ليس له أول ولا آخر، وليس له جزءٌ ولا بعض؛ لأن كونه له أجزاء وأبعاد هذا يدل على الحدوث، كونه له أول وآخر هذا يدل على الحدوث.

كلام الله عَزَّ وَجَلَّ حقيقة هو الكلام النفسي، وليس له أول وآخر، وجزء وبعض، وجزء وكل، هكذا يقولون.

يقولون: بما أننا لا نستطيع أن نؤديه إلا بهذا التعاقب، وبهذا الترتيب؛ فهذه مشكلتنا، ونحن نرى أن هذا الترتيب بهذا تلفظ الله عَزَّ وَجَلَّ وتكلم به، وأنزله على جبريل.

إذًا له أول وأخر، وأجزاء وأبعاض.

عندهم مسألة يعنونون لها بوحدة الكلام، وأن كلام الله عَزَّ وَجَلَّ واحد، وأن ما في هذا القرآن من التعاقب والسور والترتيب هذا كله عندهم يدل على الحدوث، فلذلك لا يختلفون مع المعتزلة في كون هذا القرآن مخلوقًا، لا تظن أن الأشاعرة يقولون: القرآن غير مخلوق. لا، هذا القرآن يتفقون في كونه مخلوقًا مع المعتزلة، ويصرِّحون بهذا، يقولون: خلافنا مع المعتزلة في الكلام النفسي؛ هم لا يقولون بالكلام النفسي، ونحن نقول بالكلام النفسي وبقِدمه، أما اللفظ والنظم فالذين يقولون بقدمه هم الحنابلة، هكذا يقولون.

نحن لا نقول بقدمه، نحن نقول: إنه كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، وكلام الله عَزَّ وَجَلَّ كصفة قديم النوع، وحادث الأفراد، الله تَعَالَىٰ يتكلم، ويكلم من شاء بما شاء،

فكلامه كله ليس قديمًا، من ذلك: القرآن؛ لأن القرآن أنزله على النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبعضه أُنزل بعد أحداث، مما يدل على أنه تكلم الله عَزَّ وَجَلَّ به في ذلك الوقت.

إذًا كل هذا من صفات القرآن، وكونها من صفات القرآن لا تُخرجه من كونه كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، لذلك يؤكد هنا على هذه الأمور التي قد نستغربها، إذا لم نُشر إلى أن هناك نظريات، ولمن هذه النظريات، الذين يرون أنهم هم أهل السُّنَّة، هذه النظريات نشير إليها حتى نفهم كلام ابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ.

(**متلو بالألسنة**) كلام الله عَزَّ وَجَلَّ نفسه متلو بالألسنة (**محفوظ في الصدور**)، كما يقول أهل السنة: الكلام كلام الباري، والصوت صوت القاري. القارئ لما يقرأه فيؤديه بصوته، وهذا عمل، عملٌ له، ولكن الكلام هو كلام الله عَزَّ وَجَلَّ.

(**محفوظ في الصدور**) هذا القرآن -كما يقول أهل السنة- كيفما تصرف، كُتب في الكتاب، حُفظ في الصدور، قُرئ وتُلي، فهو في كل هذه الصور كلام الله عَزَّ وَجَلَّ.

(**مسموع بالآذان**) الله عَزَّ وَجَلَّ أسمعه جبريل، ويسمعه من شاء من خلقه، كما سبق في كلام ابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ، (**مسموع بالآذان**)؛ كلام الله عَزَّ وَجَلَّ مسموع، وعندهم كلام الله عَزَّ وَجَلَّ ليس مسموعًا؛ لأنه أصلًا في نفسه، يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وأيضًا: ﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾﴾

والإمام البخاري عقد بابًا في كتاب التوحيد، عقد بابًا عنونه بقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ: ٢٣]، عقد عليه بابًا لبيان أن كلام الله عَزَّ وَجَلَّ مسموع، لأن هذا الذي يأذن له لا بد أن يسمع كلامه وإذنه، وإلا كيف يعرف أنه أذن له؟

أيضًا حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: «**يَقُولُ اللهُ: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ**»، لما قال الله: يا آدم. سمع كلامه، فإن كلام الله عَزَّ وَجَلَّ مسموع، «**فَيُنَادَىٰ بِصَوْتٍ**» هذا أيضًا فيه دليل آخر «**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَىٰ النَّارِ**». الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب التوحيد.

(**مكتوب في المصاحف**) هذا القرآن كلام الله عَزَّ وَجَلَّ هو مكتوب في المصاحف، هم يقولون: ننزه كلام الله عَزَّ وَجَلَّ من الحلول في المصاحف، الكلام لا يحل، كلام الشخص تكتبه ليس معناه أنه حلَّ في ما تكتبه، أدوات حفظ الكلام كثيرة، منها؛ الكتاب ومنها الحفظ، أليس كذلك؟ إذًا هو مكتوب في المصاحف، ولكونه مكتوبًا لا يخرج عن كونه كلام الله عَزَّ وَجَلَّ.

(**فيه محكم ومتشابه**) القرآن فيه محكم ومتشابه، سبق أن قلنا: إن الإحكام والتشابه على قسمين:

إحكام عام: وهذا وُصف به القرآن، وُصف بأنه كله محكم، ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ [هود: ١].

تشابه عام: أيضًا وُصف به القرآن؛ ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ﴾ [الزمر: ٢٣].

والتشابه هنا في الإحكام العام الذي ذكرناه، متشابه في الإحكام العام الذي هو الإتقان، فمتشابه فيه في ((٣٥:٢٥))، وفي الصدق، وفي الفصاحة، كله على مستوى.

أما التشابه النسبي الذي يشير إليه هنا ابن قدامة: (**فيه محكم ومتشابه**) هذا التشابه الذي يكون متشابهًا عند بعض الناس، فهو نسبي، متشابه عند هذا، وليس متشابهًا عند فلان؛ لأنه خفي عليه، والتشابه يكون لخفاءٍ في معناه.

(**فيه محكم ومتشابه**) كون بعضه محكمًا وكون بعضه متشابهًا هذا يدل أيضًا على أن كلام الله عَزَّ وَجَلَّ بعضه يوصف بهذا، وبعضه يوصف بهذا، التبعض الذي يفر منه المتكلمون.

(**وفيه ناسخ ومنسوخ**) أنا أرى أن بعض الإخوة يستغربون، يعني لماذا كل هذه؟ فيه ناسخ ومنسوخ، من الذي قال أنه ليس فيه ناسخ ومنسوخ؟ طبعًا الذين أنكروا النسخ هم اليهود -عليهم لعائن الله-، أنكروا هذا ليقولوا أن أي كتاب بعد التوراة ليس كلام الله عَزَّ وَجَلَّ؛ لأن التوراة لم يُنسخ، هذا قصدهم، ولكن ابن قدامة هنا يرد على المتكلمين، وليس على اليهود، طبعًا الرد على اليهود واضح، قصده هنا في ذكره لأوصاف القرآن الرد على المتكلمين؛ لأن النسخ: هو عبارة عن

رفع حكم ثابت بدليل، رفعه بحكم آخر ثابتٍ بدليل متراخٍ عنه، بخطاب متراخٍ عنه.

إذًا هناك خطاب، وبعده خطاب، وهذا ليس متصورًا عند.. أن يكون لله عَزَّ وَجَلَّ خطاب ثم خطاب، أول وبعد، هذا ليس متصورًا عندهم؛ لأن كلامه كله أزلي، ولذلك لما يأتون إلى تعريف النسخ ماذا يقولون؟ خطاب أول يُنسخ بخطاب لاحق، يقولون: رفع تعلق الحكم، الخطاب الأول حكمه متعلق بالمكلف إلى مدة معينة، ثم يُرفع تعلقه بالله، فيبدأ تعلق الخطاب الآخر به، والخطابان ليس أحدهما قبل وأحدهما بعد، لا، الخطابان قديمان، ولكن الاختلاف في التعلُّق، تعلُّق هذا الخطاب ينتهي، ثم يبدأ تعلق الخطاب الثاني.

كل هذا لأن الله عَزَّ وَجَلَّ لا يتكلم، ثم يتكلم، لا، ليس كلامه بمشيئته وقدرته، لو سألتهم وقلت لهم: هل الله عَزَّ وَجَلَّ يتكلم الآن؟ عندهم لا؛ لأن هذا يستلزم أن يكون حادثًا، سبحان الله! الله عَزَّ وَجَلَّ لا يتكلم الآن، تكلم في الأزل، وكل هذه التكلفات لأجل هذه الخرافات.

إذًا هو فيه ناسخ ومنسوخ، وفيه خاص عام، وأمر ونهي، هذا أيضًا يرجع إلى وحدة الكلام، هم يقولون: بما أن كلام الله عَزَّ وَجَلَّ واحد.

يرد عليهم سؤال ويقال لهم: الكلام كلام الله عَزَّ وَجَلَّ وخاصة في القرآن، هناك أوامر، هناك نواهٍ، هناك أخبار، هذا يدل على أن الكلام يختلف؛ أمر ونهي

وأخبار، وخاص وعام، ومطلق ومقيد، يقولون: هذا الاختلاف لاختلاف المتعلقات، ويمثلون له بمثالٍ غريب، يقولون: إذا اتفقت أنا وهذا الشيخ الكريم أنني إذا قلت: قم. يفهم مني أنني أطلب منه القيام، في نفس الوقت اتفقت معه، إذا قلت له: قم. يجلس، هذا المتعلق به فهمه، في نفس الوقت اتفقت مع الشيخ أنني إذا قلت: قم. يمشي، في نفس الوقت اتفقت معه أنني إذا قلت: قم. يحضر لي ماء.

نفس الشيء، ولكن الاختلاف في المتعلقات، هكذا يقولون، متى اتفق الله عَزَّ وَجَلَّ بهذا الشأن؟ أليس كلام الله عز وجل وكذلك الكلام العام فيه أمر، وفيه نهي، وفيه صيغ؟ لما يأتون إلى الأمر هل له صيغة أو لا هنا في أصول الفقه؟ لأن القول بأن الأمر له صيغة هذا ينافي كون كلام الله عَزَّ وَجَلَّ واحدًا.

كل هذه النظريات المعقدة عقدت وصول الفقه بشكل غير متساوٍ، الناس يظنون أن أصول الفقه صعب، أصول الفقه علم جميل جدًّا؛ يعني هو الوسيلة لفهم كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، ولكن مثل هذه النظريات اختلطت بأصول الفقه فعقَّدته.

وإلا إذا قلت لك: الأمر هل له صيغة؟ ستستغرب، الأمر له صيغة، والنهي له صيغة، وبالصيغة نعرف أن هذا أمر، وهذا نهي، وهذا خبر، وهذا استخبار، أليس كذلك؟ ولكن عندهم لا.

إذًا القرآن فيه خاص، وفيه عام، وفيه أمر، وفيه نهي، ثم قال: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤٢]، ويقول

سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨] هنا في هذه الآية أن التحدي بهذا القرآن، وهذا سيشير إليه المؤلف فيما سيأتي. ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ﴾ ماذا؟ ﴿بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ﴾ [الإسراء: ٨٨]، الإشارة هنا (هذا) هذه إشارة للقريب، و(ذلك) إشارة للبعيد.

﴿الم ﴿١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ [البقرة: ١، ٢] العلماء يقولون: لماذا أُشير إليه بذلك مع أنه قريب؟ وهنا يقول: بمثل هذا القرآن؟ لبيان عظمته، مثل ما تكون الإشارة إلى الكبير، يعني تتصوره بعيدًا وهو قريبٌ منكَ؛ **فالإشارة هنا**: ﴿بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ﴾ إلى هذا القرآن الذي أمامنا.

﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨]، وسيأتي تعليق المؤلف فيما سيأتي أن هذا التحدي بهذا القرآن دليل على أن القرآن الذي ورد به التحدي هو هذا القرآن، وليس هناك قرآن آخر.

وهذا التحدي طبعًا كان في مكة والمسلمون مستضعفون، وهم أقوياء، ويبحثون عن أي دليل لإضعاف النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلو استطاعوا هل كانوا يقصرون؟ ما كانوا يقصرون.

(**وهو هذا الكتاب العربي**) ما قرأناه إلى هنا أغلبه غريب، وهذا أغرب حقيقة، ابن قدامة يقول لنا: إن القرآن الذي نتحدث عنه هو هذا القرآن، يعني بالله عليك، ماذا سيكون شعورك لو شخص يأتي ويقول لك: يا أخي، تعلّم.

➢ ما الذي أتعلمه؟

أن هذا هو القرآن، ابن قدامة الآن يعلّمنا، رَحِمَهُ اللَّهُ رحمة واسعة، يعلّمنا ونحن نتحمل، أن القرآن هو هذا.

ما الذي احتجت إلى هذا يا ابن قدامة؟ لأن أولئك يقولون: القرآن الذي نتحدث عنه ليس هو هذا، هو كلام الله عَزَّ وَجَلَّ الذي في نفسه، أما هذا المنزَّل، المجزئ، المرتب إلى سور وآيات، والذي فيه قبل وبعد -هذا ليس كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، هكذا يقولون، ولذلك ألّف رسالة مستقلة؛ لبيان أن هذا هو القرآن.

(**وهو هذا الكتاب العربي**) يقول الله عَزَّ وَجَلَّ آمرًا نبيه أن يقول: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، ويقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾، وعندهم ما يمكن أن تسمع كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، ﴿فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾ [يوسف: ٢]، ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ [النحل: ٩٨] كما ذكرتُ أن القرآن وُصف بأنه عربي في القرآن، ووُصف

بذلك في عشر آيات، والموضوع الذي يبينه ابن قدامة الآن أن هذا القرآن هو القرآن الذي أنزله الله عَزَّ وَجَلَّ على نبيه محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(**وهو هذا الكتاب العربي الذي قال فيه الذين كفروا**) من هنا إلى آخر المبحث تقريبًا يذكر الأدلة على أن القرآن هو هذا.

وأول دليل ذكره في هذا الصدد استدل بهذه الآية، الكفار قالوا: لن نؤمن بهذا القرآن، وقال بعضهم: ﴿إِنْ هَـٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾ [المدثر: ٢٥]، فقال الله سُبْحَانَهُ: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾ [المدثر: ٢٦].

لماذا قال؟ لأجل كلامهم في هذا القرآن، فلو كان كلامًا نفسيًّا؛ كان بإمكانهم أن يقولوا: هذا كلام البشر.؟ ما هو الذي كلام البشر.؟ هو هذا الذي أمامهم، الذي يتلوه النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والذي يسمعون منه، يقولون: هذا قولُ البشر.

طبعًا نحن الآن ما علينا من كلامهم، كلامهم باطل، لا نتحدث فيه، نحن نتحدث أن هذا يدل على أن النزاع كان في هذا القرآن، هذا الدليل الأول.

وقال بعضهم: هو شِعر، هذا الدليل الثاني، فقال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴿٦٩﴾﴾ [يس: ٦٩]، فلما نفى عنه أنه شعر، وأثبته قرآنًا، لم تبقَ شبهة لذي..

عندكم لم يبقَ أو لم تبقَ؟ أحسن: لمْ يُبْقِ.

لمْ يُبْقِ شبهةً.. إذًا عندي خطأ هنا. لم يُبْقِ شبهةً لذي لب في أن القرآن هو هذا الكتاب العربي، الذي هو كلمات وحروف وآيات، لأن ما ليس كذلك لا يقول أحد: إنه شعر.

ما لم يكن مرتبًا بهذه الجمل، بهذا الشكل، يعني لو لم يكن كلمات وحروف؛ لمْ يقولوا عنه: إنه شعر؛ لأن الشعر هو كلمات وحروف مرتبة، فما دام أنهم ادعوا أنه شعر، والله عَزَّ وَجَلَّ أثبته قرآنًا، ونفا عنه أن يكون شعرًا، هذا دل على أن الحديث يدور حول هذا القرآن، الذي هو حروف وكلمات، وسور وآيات.

الدليل الثالث: وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣]، هنا تحدٍّ، كما سبق أيضًا في الآية التي ذكرها: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨]، هذا تحدٍّ.

يقول هنا ابن قدامة في تعليقٍ جميل جدًّا: (**ولا يجوز أن يتحداهم بالإتيان بمثل ما يُدرىٰ ما هو ولا يُعقل**). الذي في نفس الله عَزَّ وَجَلَّ، هل يُعقل أن يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: أنا أتحداكم فيه بأن تأتوا بمثل ما هو في نفسي؟! التحدي يكون بشيء موجود، والذي أمامهم والموجود أمامهم هو هذا القرآن، إذًا التحدي ليس بالكلام النفسي، وإنما بالكلام الملفوظ وهو القرآن الذي يسمونه نظمًا.

(**بمثل ما يُدرىٰ ما هو ولا يُعقل**) لماذا؟ لكونه كلامًا نفسيًّا، والذي في نفس الله عَزَّ وَجَلَّ ما تدري عنه، هذا دليل آخر، وقال تَعَالَىٰ: (﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾)، هذا دليل آخر (﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا﴾ [يونس: ١٥]).

هم أمامهم قرآن وسور وآيات يرونها وتُقرأ عليهم، فبماذا يطالبون؟ يقولون: ائتِ بقرآن غير هذا أو بدله، نحن ما نريد هذه الآيات التي نسمعها منك، ائت بآيات أخرى. كأن الكلام له، وكأن له الاختيار في ما يأتي به ويزر، ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي﴾ [يونس: ١٥]، هذا كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، هو الذي يوحي إلي، وهو الذي أتلوه، ليس لي خيار في هذا.

(**فأثبَت أن القرآن هو الآيات التي تتلىٰ عليهم**) هو القرآن.

أنتَ إذا سألتَ الأشعري: هل هذا قرآن؟ سيقول لك: نعم. فلماذا تطيل معي؟ سيقول لك: نعم. هذا جوابه. وإذا قلت له: هل القرآن مخلوق؟ يقول لك: لا. فتستغرب، أنتَ تذكر في كتبك أنه لا خلاف بيني وبين المعتزلة في كون النظم مخلوقًا، ما الذي تقصد؟ هنا سيبين أن الكلام نوعان: كلام لفظي، وكلام نفسي، وحقيقة الكلام هو الكلام النفسي، وهو الذي أريد به القرآن، وهو الذي أقصده لما أقول: القرآن غير مخلوق، ولكن النظم هذا ليس كلام الله عَزَّ وَجَلَّ حقيقة وإنما هو كلام الله عَزَّ وَجَلَّ مجازًا، أو بالاشتراك اللفظي.

والمسألة بالنسبة لهم محرجة جدًّا، ولذلك مواقفهم مضطربة في هذا وغامضة، فمما ذكروه في هذا: كلام الغزالي في (الاقتصاد في الاعتقاد)، هذا متن تقريبًا بهذا الحجم للغزالي، يورد على نفسه هذا السؤال فيجيب، ما هو السؤال؟

➢ ماذا تقول عن القرآن: هل هو مخلوق أو لا؟

✍ إذا قلتَ أنه مخلوق؛ صرت مثل المعتزلة، وإذا قلت أنه غير مخلوق؛ حكمت على هذا النظم الحادث بأنه قديم.

فقال: القرآن إما أن يُقصد به القراءة، وإما أن يقصد به المقروء، وإما أن يقصد به... ذكر ثلاثة أمور: القرآن بمعنى القراءة، والقرآن بمعنى المقروء، والقرآن.. ذكر ثلاثة أمور، يريد أن يُميّع..

فنحن نسأله: ما هو المقروء؟ هو هذا الذي سألناك عنه، أليس هو المقروء، نسألك عنه؟ والمقروء هو القرآن.

هذا التقسيم والتنويع والترديد لم نفهم منه شيئًا، لا زال السؤال قائمًا: ماذا تقول في هذا القرآن: هل هو مخلوق أو لا؟

في النهاية سيقول لك: هذا عبارة عن سور وآيات، وعبارة عن نظمٍ وألفاظ، وهي حادثة فلذلك هذا حادث، ولكنه يُطلق عليه أنه كلام الله عَزَّ وَجَلَّ مجازًا، أو بالاشتراك اللفظي.

ويقول سُبْحَانَهُ: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [العنكبوت: ٤٩]، ويقول سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ [الواقعة: ٧٧] ﴿إِنَّهُ﴾ هذا المُنزّل ﴿لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾﴾ [الواقعة: ٧٧، ٧٨]، طبعاً هو اللوح المحفوظ، الكتاب المراد به هنا: اللوح المحفوظ.

والقرآن له درجات، القرآن أولًا: هو مكتوب في اللوح المحفوظ، وإليه الإشارة هنا: ﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الواقعة: ٧٨، ٧٩].

الراجح أن الكتاب المكنون: هو اللوح المحفوظ، والمطهرون: هؤلاء هم الملائكة.

إذًا هو مكتوب هناك، والله عَزَّ وَجَلَّ -كما ورد عن ابن عباس- أمر جبريل أن ينزله من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة، ثم أُوحي هذا القرآن إلى النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنجَّمًا في هذه الفترة التي تمتد من عشرين إلى ثلاثة وعشرين عامًا.

هؤلاء يرون أن جبريل ينزله بعد ما يُفهِمه الله عَزَّ وَجَلَّ، ينزله دون أن يسمعه من الله عَزَّ وَجَلَّ، ونحن نقول: المرحلة الأخيرة التي هي مرحلة الإنزال الأخير هنا يكون الوحي مجزأً، كل ما ينزل به جبريل يَسمعه من الله عَزَّ وَجَلَّ، ويسمع كلامه، ثم ينزل به إلى النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهذا السماع يسقطونه، يسقطه هؤلاء الأشاعرة، حتى في كتبهم في علوم القرآن لا يذكرون هذا، وإن ذكروه يردونه، لأن كلام الله عَزَّ وَجَلَّ كلامه الحقيقي يُنَزَّل، هذا عندهم غير متصور.

ثم قَالَ: (**بعد أن أقسم علىٰ ذلك**): فهو يشير إلى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ۝٧٧﴾ [الواقعة:٧٥-٧٧]، يعني بعد القسم ذكر هذا؛ مما يدل على أهمية هذا القسم، وأهمية المُقسَم به، ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ۝٧٧﴾.

(**وقال تَعَالَىٰ**) هذا دليل آخر على كونه حُروفًا (**وقال تَعَالَىٰ**: ﴿كهيعص ۝١﴾ [مريم: ١]، ﴿حم ۝١ عسق ۝٢﴾ [الشورىٰ: ١، ٢])، وبقية الـ.. يقول: (**وافتتح تسعًا وعشرين سورةً بالحروف المقطعة**) ومع ذلك فهي كلام الله عَزَّ وَجَلَّ.

هذه الحروف كلها كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، والله عَزَّ وَجَلَّ تلفظ بها، وفيها تحدٍّ، مما قيل في الحروف المقطعة: إن الله عَزَّ وَجَلَّ ينبههم إلى أن هذا القرآن بهذه الحروف التي هي معروفة عندكم، الكلمات متركبة من هذه الحروف، والجمل متركبة من تلك الكلمات، وهذه الحروف معروفة عندكم، فإن استطعتم أن تأتوا بشيء من الـ..؛ ولذلك أغلب الآيات، لا أقول: كلها، أغلب المواضع التي فيها الحروف المقطعة يأتي بعدها ذكر القرآن.

يقول: (**وقال النبي** صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من قرأ القرآن فأعربه**») فأعربه أي: قرأه قراءة صحيحة، الإعراب ضد اللحن «**فله بكل حرفٍ منه عشر حسنات**» إذًا القرآن حروف.

ومن الأدلة على كون القرآن حروفًا وكون كلام الله عَزَّ وَجَلَّ حروفًا، ومن الأدلة التي نرد بها على المتكلمين الذين يقولون: إن كلام الله عَزَّ وَجَلَّ ليس بحرف أو صوت -حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما، وفيه: **أن المَلَك قال للنبي** صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أبشر بنورين أُوتيتهما، لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرفٍ منهما إلا أُعطيته**». الحديث رواه الإمام مسلم في صحيحه.

ثم قال: (**وقال النبي** صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من قرأ القرآن فأعربه؛ فله بكل حرف منه عشر حسنات، ومن قرأه ولحن فيه؛ فله بكل حرف حسنة**». حديث صحيح).

الحديث هذا ليس بصحيح، هناك حديث آخر لعل الأمر التبس بين الحديثين، الحديث الآخر هو الحديث الذي أخرجه الترمذي وغيره: «**مَن قرأ حرفًا من كتاب الله؛ فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: آلم حرف، ولكن ألفٌ حرف ولامٌ حرف وميمٌ حرف**». وهذا الحديث أخرجه الترمذي وغيره، وهو حديث صحيح، أما ما ذكره هنا ابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ فالحديث ليس بصحيح.

(وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «اقرؤوا القرآن قبل أن يأتي قومٌ يقيمون حروفه إقامة السهم لا يجاوز تراقيهم، يتعجلون أجره ولا يتأجلونه») هذا الحديث صحيح.

هذا الحديث أورده ابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ بعد هذا الحديث الذي فيه فضلُ مَن قرأ القرآن فأعربه وأقامه، وأورده لأمرين:

الأمر الأول: لبيان أن فيه يقيمون حروفه، إثبات أن كلام الله عَزَّ وَجَلَّ بحرف.

الأمر الثاني: للإشارة إلى أن إتقان الحروف ليس كافيًا، ولا بد من الجمع بين إتقان الحروف والعمل بالآيات، والعمل بالآيات كيف يكون؟ متى يكون؟ بعد الفهم، فلا بد من الجمع بين إتقان الحروف وبين العمل بالآيات، وهذا لا يكون إلا بفهم الآيات، وهذا يدل على أهمية التفسير.

فكأن ابن قدامة يقول: هذا المدح الذي ورد هنا ليس لمن يهتم بإقامة الحروف فقط مثلما يُرى عند بعض الناس.

«اقرؤوا القرآن قبل أن يأتي قوم يقيمون حروفه إقامة السهم» إقامتهم للحروف في الغاية، غاية الإتقان «ولكن لا يجاوز تراقيهم» الترقوة: هي الحلق. لماذا؟ لأنهم يتعجلون أجره ولا يتأجلونه، ولأنهم أيضًا لا يعملون به، ولأنهم أيضًا لا يهتمون بمعرفة معانيه، وإنما يهتمون بإقامة حروفه، وهنا «قبل أن يأتي قومٌ يقيمون حروفه» هذا هو الشاهد.

(**وقال أبو بكر وعمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما: **إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه**) مع الخطأ فيها، الذي يحفظ بعض القرآن مع الخطأ فيه أحسن منه أن يقرأه نظرًا بإتقان؛ لأن من يحفظ الخطأ يستمر عليه، فيقول أبو بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما وأرضاهما: (**إعراب القرآن**) أي: قراءته قراءة صحيحة سليمة (**أحب إلينا من حفظ بعض حروفه**) أي: مع الخطأ.

(**أحب إلينا من حفظ بعض حروفه**) الشاهد هنا ذكرُ الحروف، وأن هذا الأمر كان معروفًا عند الصحابة.

وكذلك قول علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (**من كفر بحرفٍ منه**) هذا هو الشاهد (**من كفر بحرفٍ منه فقد كفر به كله**)، فكيف بمن يكفر بآيةٍ منه؟ وكيف بمن يكفر بسورة منه؟ من كفر بحرفٍ منه فقد كفر به كله.

ثم يقول ابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ، ويختصر بما يقوله هنا: (**واتفق المسلمون علىٰ عدِّ سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه**) حروف القرآن كم هي؟ كم كلماته؟ كم آياته؟ كم سوره؟ هذه الأمور متفق عليها بين المسلمين، لا أحد يختلف.

(**ولا خلاف بين المسلمين في أن من جحد من القرآن سورةً أو آيةً أو كلمةً أو حرفًا متفقًا عليه أنه كافر، وفي هذا حجة قاطعةٌ علىٰ أنه حُروف**).

ومن الأدلة الواضحة التي يُرد بها علىٰ المتكلمين في قولهم بوحدة القرآن: أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لما سمع كلام الله عَزَّ وَجَلَّ؛ هل سمع كلامه كله؟ وهذا الذي ينسجم مع قولهم أن كلامه لا يتبعض، هل سمع كلامه كله؟ طبعًا مستحيل، سمع بعضه؟ إذًا هذا يدل على أن كلام الله عَزَّ وَجَلَّ يتبعض.

وهذا واضح، وكما قلنا: مثل هذه النظريات المنحرفة أشغلت المسلمين، وأدخلت في العلوم الإسلامية نظريات معقدة جدًّا جدًّا، وهذا القرآن الذي أمامنا بعد ما نقرأ في أصول الفقه، الأصول التي المفروض أن نتعلم منها تعظيم القرآن وأنه كلام الله عَزَّ وَجَلَّ حقيقةً، سنتعلم منهم في أصول الفقه، وللأسف هم كتبوا فيه كثيرًا، سنتعلم منهم أن هذا ليس كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، والذي كنا نعتقده أنه كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، هذا لأننا لم نتبحر فيه، وهو كتاب شريف نُسب إلى الله عَزَّ وَجَلَّ؛ لأنه عبارة عن كلامه، أو لأنه دالٌّ على كلامه، على كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، أما أن يكون كلامه حقيقةً فهذا عندهم..

ونحن نعتقد أن هذا كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، وكل ما تذكرونه من أدلة الحدوث هذه خرافات لا عبرةَ بها، هذا يدل على كذا.. وهذا يدل على كذا.. سبحان الله!

وفي الأخير حكمتم على الله عَزَّ وَجَلَّ أنه لا يتكلم الآن، أعوذ بالله! الله عَزَّ وَجَلَّ لا يتكلم الآن عندهم، بل الغريب جدًّا أنه لا يفعل الآن، كل هذا الذي في

الكون فعله في الأزل، أما أنه يفعل الآن.. لذلك لهم نظرية أخرى غريبة جدًّا: الخلق هو المخلوق، ليس له خلقٌ وفعلٌ الآن، هكذا، فالله المستعان.

قال الإمام: ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

فصلٌ: رؤية المؤمنين لربهم.

والمؤمنون يرون ربهم بأبصارهم ويزورونه، ويكلمهم ويكلمونه، قال الله تَعَالَىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣] وقال تَعَالَىٰ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾ [المطففين: ١٥]، فلما حجب أولئك في حال السخط دل على أن المؤمنين يرونه في حال الرضا، وإلا لم يكن بينهما فرقٌ، وقال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته**» حديث صحيح متفق عليه. وهذا تشبيه للرؤية بالرؤية، لا للمرئي بالمرئي، فإن الله تَعَالَىٰ لا شبيه له ولا نظير.

التعليق:

هذه مسألة الرؤية؛ (**رؤية رب العالمين**)، وهذه المسألة من أشرف المسائل التي تُبحث في كتب العقائد؛ لأن رؤية الله عَزَّ وَجَلَّ هي الغاية التي يشمر إليها المؤمنون، أعظم نعيمٍ يوم القيامة على الإطلاق هو رؤية الله عَزَّ وَجَلَّ.

وللأسف هذا النعيم أيضًا مختلف فيه بين المتكلمين، بدل أن نركز كيف نحقق هذه الغاية، وكيف يمكننا أن نرى رب العالمين يوم القيامة؟ بدل أن نركز على هذه المسألة، سنركز هل يمكن أن يُرى أو لا؟

طبعًا عند أهل السنة والجماعة اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يُرى يوم القيامة، يُرى رؤيةً بصريةً واضحة، سيراه المؤمنون بأبصارهم، هذا مذهب أهل السنة، والأدلة التي ذكرها هنا هي غيضٌ من فيضٍ.

الأدلة على الرؤية كثيرة جدًّا، حتى الأحاديث أحاديث الرؤية متواترة، وهناك كتبٌ أُلفت في الرؤية، والذين يخالفون أهل السنة في هذه المسألة هم صِنفان من الناس:

الصنف الأول: هم الجهمية والمعتزلة، يرون أن رؤية الله عَزَّ وَجَلَّ غير ممكنة، وكل ما ورد في رؤية الله عَزَّ وَجَلَّ عبارة عن العلم.

في قوله هنا: «إنكم سترون ربكم» معناها: ستعلمون علم اليقين، هذا مذهب الجهمية والمعتزلة، يرون أن جميع ما ورد في الرؤية المراد به زيادة العلم، وليست الرؤية البصرية؛ لأن الرؤية عندهم تستلزم أن يكون المرئيّ في جهة، وكونه في جهة هذا يدل على حدوثه، وبالتالي لا يمكننا أن نثبت الرؤية، هذا الصنف الأول.

الصنف الثاني: هم الأشاعرة والماتريدية.. الكلابية عمومًا أوائلهم ما عندهم إشكال في رؤية الله عَزَّ وَجَلَّ، كل مَن يثبت العلوّ منهم وهم أوائل الكلابية وأوائل

الأشاعرة، هؤلاء ما عندهم إشكال في رؤية الله عَزَّ وَجَلَّ؛ لأن الإشكال عند الفئة الأخيرة، أوائل الأشاعرة وكذلك أوائل الماتريدية الذين يثبتون العلو، طبعًا الماتريدية لا يثبتون العلو، لا أوائلهم ولا أواخرهم، أما الأشاعرة فأوائلهم يثبتون العلو، ويردون على من يؤوِّل الاستواء بالاستيلاء، ويردون أيضًا على من لا يثبت العلو، يردون ردودًا عنيفة جدًّا، هذا من؟ أوائل الاشاعرة.

كل من يثبت صفة العلو فليس عنده إشكال في إثبات الرؤية، أما من ينفي صفة العلو -وهم من بعد الجويني- فلا يمكنهم أن يثبتوا صفة الرؤية، أو لا يمكنهم أن يثبتوا رؤية رب العالمين رؤية صحيحة، ولذلك يثبتون الرؤية، هم الصِّنف الثالث: يثبتون الرؤية، ولكن رؤية لا في جهة، يقولون: الله عَزَّ وَجَلَّ يراه المؤمنون يوم القيامة، ولكن لا في جهة. لماذا؟ لأنهم ينكرون العلو، فهنا يتسلط عليهم أهل السنة والمعتزلة، المعتزلة يقولون لهم: الخلاف الذي بيننا وبين أولئك الحشوية -يقصدون أهل السنة-: نحن نقول: لا يُرى. وهم يقولون: يُرى. أما أنتم قلتم: يُرى لا في جهة. هذا شيء غريب، إذا كان يُرى؛ كيف يُرى لا في جهة؟

هذه النقطة الجديدة، هذا العنصر الجديد لماذا جاء؟ لإنكارهم صفة العلو، ولإثباتهم الرؤية، فلذلك هذه المسألة ظلت عندهم حتى عند أوائلهم، أوائلهم ليس فيها إشكال عندهم، ولكن ظلت المسألة غير منسجمة في..

ولذلك عند المتأخرين -بعد الجويني- قالوا: رؤية بلا جهة. ولكن عند المتأخرين -بعد الآمدي وبعد الرازي-، قالوا: الرؤية المراد بها زيادة العلم، فرجعوا إلى ماذا؟ رجعوا إلى مذهب المعتزلة.

فلذلك تلاحظون أن أوائل المتكلمين لما يذكرون مسألة الرؤية كلامهم يكون جميلًا، واستدلالهم يكون أجمل، وينصون على أن الرؤية رؤية بصرية، تتابع في مصنفاتهم بعد مدة ستختفي كلمة (بالأبصار)؛ لأنه سيميل إلى الرؤية التي هي بمعنى زيادة العلم.

فهذه هي المذاهب باختصار: أهل السنة والجماعة يثبتون أن رؤية الله عَزَّ وَجَلَّ رؤية بصرية، والمعتزلة ينكرون الرؤية، وأوائل الأشاعرة مع أهل السنة في إثبات الرؤية البصرية؛ لأنهم يثبتون صفة العلو. بعد الجويني يقولون برؤية بلا جهة، والمتأخرون يرجعون إلى مذهب المعتزلة.

يقول: (**والمؤمنون يرون الله تَعَالَىٰ**) فتنة... مذهبهم.. ها هم يثبتون الرؤية يفتحونها لـ..، أحدهم يقول: لو حُجبتُ عن الله عَزَّ وَجَلَّ لحظة لشككتُ في إيماني. لأنهم يرون الله عَزَّ وَجَلَّ دائمًا!

في الدنيا: الذي هو أدنى درجة فيهم يرى النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كل لحظة، أما رؤيتهم لله عَزَّ وَجَلَّ فـ..

(**والمؤمنون يرون الله تَعَالَىٰ في الآخرة بأبصارهم**) هذا قيدٌ مهم: (**بأبصارهم**)، لماذا جاء؟ هذا القيد ليس له أي.. لا نحتاج إليه، ولكن بعد ما عرفنا هذه المذاهب سنترك هذا القيد؟ لا، سنذكره.

(**ويزورونه ويكلمهم ويكلمونه**) بعضُ الأدلة على هذا سبقت.

يقول الله سُبْحَانَهُ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۝٢٢﴾ [القيامة: ٢٢]، من النُّضرة ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٣]، هذا فيه إثبات أن الله عَزَّ وَجَلَّ يُرى يوم القيامة ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾.

هنا طبعًا محل الرؤية وهي الوجوه، والتعدية هنا بـ(**إلىٰ**) وبالنظر ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾، هذا نصٌّ في إثبات الرؤية.

والمعتزلة يقولون: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ أي تنتظر. الانتظار هو أشد من القتل، الانتظار ليس نعمة، يعني هذه النُّضرة من أين اكتسبوها؟ من ذلك الانتظار؟! الانتظار يُكسِب النُّضرة؟! الانتظار يميت.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۝٢٢﴾ هذه النضرة من أين؟ لأنها إلى ربها ناظرة، أليس كذلك؟ يقولون: لا، ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ أي: منتظرة، والتحريف بابه..

(**وقال**: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾ [المطففين: ١٥])، هذا إذًا من أدلة الرؤية.

(فلما حجب أولئك في حال السخط دل على أن المؤمنين يرونه في حال الرضا، وإلا لم يكن بينهما فرق) وإلا ما الفرق بين حال الإيمان وبين حال..

(وقال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر») طبعًا هذا فيه.. لمْ يذكر هنا لفظَ الحديث.

«إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر» وهذا إشارة إلى القمر ليلةَ البدر «لا تُضامون في رؤيته» من الضم، لا تُضامُّون؛ أي لا تنضمون، لا ينضم بعضكم إلى بعض لأجل الرؤية.

ما الذي يحصل في الدنيا إذا أردنا أن نرى شيئًا؟ زحمة، لا، كل واحد منكم سيرى ربه، ولن يحصل انضمام بعضكم إلى بعض، الزحمة لأجل الرؤية، هذا لبيان أن الرؤية ستكون أوضح ما تكون.

أيضًا بدون الشَّدّة «لا تُضامُون»: من الضيم، والضيم هو الضرر، لا تضامُّون أي: لا يلحقكم أي ضرر وأي ضيم في رؤيته.

وفي رواية: «لا تضارُّون» من الضرر؛ أي لا يلحقكم ضرر في رؤيته، وهذا الحديث طبعًا هو من الأحاديث المتواترة، وهناك رسالة علمية في مجلد ضخم في الرؤية، وذكرَ هذا الحديث وطرقه وبيّن أن هذا الحديث.. أحاديث الرؤية عمومًا متواترة.

ثم يقول المؤلف هنا: (**وهذا تشبيه للرؤية بالرؤية**) هنا لما يقول: «**إنكم سترون ربكم كما ترون**»، هل هذا التشبيه تشبيه المرئي بالمرئي؟ المرئي هو القمر، تشبيه الله عَزَّ وَجَلَّ بالقمر؟! لا، تشبيه الرؤية بالرؤية، لا للمرئي بالمرئي؛ فإن الله تَعَالَىٰ لا شبيه له ولا نظير.

هنا «**إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر**» هذا تشبيه للرؤية بالرؤية، في ماذا؟ في الوضوح، وعدم لحوقٍ أي ضرر.

نكتفي بهذا القدر.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.